

د. أحمد
فـالـد
توفيق

فقاقيع

Rewayat2.com

دار ليلي

www.Rewayat2.com

لقد مغالاة سافرة فصدرة لا
تبعي سوى جعلك تبتسم، بعد قفا
تنتج كالفافيع وتبلك أرنبة
انكك لشوانه لهذا نلهم جانرة
قيمة لأي شخص، يتدكر مغالاة
واحدة من شذا الكتاب بعد ثلاث
حفاق من قراءتها



د. أحمد فالح توفيق

فتاقيع

دار ليل



د. احمد خالد توفيق

فقاقيم



د. أحمد خالد توفيق

فقاقيع

قصص

دار ليلي للنشر والتوزيع

Rewayat2.com



دار ليلي

جمهورية مصر العربية

23 ش السودان - المهندسين

هاتف:

33370042

محمول:

0123885295

الموقع:

www.darlila.com

البريد الإلكتروني

mail@darlila.com

الكتاب:

فقاقيع

التأليف:

د. أحمد خالد توفيق

رقم الإيداع:

2009/23247

...

التنفيذ الفني:

حسام سليمان

...

الإشراف العام:

أ. محمد سامي

...

© جميع الحقوق محفوظة، وأي اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع

أو نشر دون موافقة كتابية، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.



قطعة الشيكولاته الأخيرة

(ورقة الكرم الأخيرة) قصة قصيرة شهيرة ومؤثرة جدًا
للأديب الأمريكي (أو. هنري)، وتحكي عن فنانة مصدرة مريضة
ربطت موتها بسقوط آخر ورقة كرم من على غصن الشجرة خارج
النافذة.. الحكاية أن الورقة لم تسقط قط. فيما بعد استردت
عافيتها، فعرفت أن فنانًا مغمورًا يحبها رسم ورقة زائفة
ليومها بأن الورقة موجودة وأن في حياتها بقية. ما أتكلم عنه
اليوم أقل سموا ورقيا لكنه مؤلم بالقدر ذاته. منذ طفولتي يشتري
أبي الفاكهة أو يهدينا أحدهم صندوقًا من الشيكولاته، وكنا نقوم
باللازم ونجهز على الفاكهة أو الشيكولاته بالكامل. فقط تبقى
قطعة شيكولاته أو تفاحة أخيرة.. المهم يبقى شيء ما غير قابل

للتوزيع علينا. هذا الشيء الأخير يظل في الثلاثية بانتظار أن يظهر له زملاء قابلون للتقسيم. وفي صباح تعس يختفي من عالمنا نهائيًا.. أين ذهب؟.. لا أحد يعرف. وكبرت وصرت أبا لكن السؤال السرمدي ما زال يحيرني: أين يذهب الشيء الأخير؟.. هناك من يأخذه لكن من؟.. لست أنا بالتأكيد. ولماذا لا أكون أنا ذلك المحفوظ؟

جاء الاختبار الأعظم في صورة صديق لي عاد من سويسرا، وجلب لي صندوقًا من الشيكولاته الفاخرة التي يذهب مذاقها بعقلك. أسرتي تتكون من أربعة أفراد.. لهذا منذ البداية عرفت أن عدد قطع الشيكولاته لن يكون من مضاعفات الأربعة أبدًا.. الحياة ليست بهذه البساطة.. ربما هي تسع قطع.. ربما ثلاث عشرة.. المهم أن تلك القطعة الأخيرة اللعينة سوف تظل موجودة في الثلاثية بانتظار مصيرها.. وهو ما حدث بالفعل..

زوجتي وأنا وابني المراهق وابنتي الطفلة مثل المتهمين في قصص أجناس كريستي.. نتبادل النظرات الإجرامية ونحن نعرف أن أحدهما سوف يفعلها. من هو؟.. يمكن أن اطلب منهم الانتظار

لكن إلى متى؟.. ومتى يعود صديق ثان لي من سويسرا بصندوق شيكولاته؟

هكذا وضعنا القطعة في رف الثلاثية، وأقسمت لنفسي أنها ستكون لي. كنت أخدع وأنا طفل أحرق لأنني كنت طفلًا أحرق، فأني مبرر أقوله لنفسي اليوم؟. بالنسبة لابنتي أنا مطمئن لأن رف الثلاثية أعلى من متناول يدها، لكنني قلق من أم العيال ومن الوغد المراهق الصغير.

في البداية لاحظت أن زوجتي تحوم حول الثلاثية أكثر من اللازم.. قلت لها بلا مناسبة واضحة إننا سننتظر حتى نبتاع بعض الشيكولاته ليصير عدد القطع قابلاً للقسمة على أربعة. بدا عليها الحرج وقالت بسرعة إنها لا تحب الشيكولاته أصلًا. وجدت الولد يفتح الثلاثية ويقلب أمامها وقتًا أطول من اللازم. سألته عن مشكلته فقال لي:

..أريد شيئًا آكله.. أنا في مرحلة نمو كما تعلم

كان رأيي أنه نما بما يكفي، ولو نما أكثر من هذا لتحول إلى ثور. ثم ناولته قطعة من الخبز ومثلثًا من الجبن، ووقفت

أحرس الثلاجة حتى تأكدت من أنه رحل. مشكلة تواجههم الزائد حول الثلاجة - حتى لو لم يسرقوا قطعة الشيكولاته - هي أنهم لا يتيحون لي فرصة أن أسرقها أنا.

ظللت قلقاً طيلة الليل أتقلب في فراشي.. من حين لآخر أتأكد من أن زوجتي نائمة.. أريد أن أنهض لكن شعوراً بالخجل يمنعني. الأمر ليس بهذا التعقيد ولا يمكن أن تبلغ بي (الدناوة) هذه الدرجة. أنا رجل ناضج في العقد الخامس من العمر، وعندي مشاكل كبرى ولدي مهنتي.. من المستحيل أن أظل ساهراً لأتسلل إلى المطبخ لأسرق قطعة شيكولاته.. في الماضي كان الزوج يتسلل إلى المطبخ لأن الخادمة الحسنة نائمة هناك، فيا لانحدار اهتمامات أزواج اليوم!

في النهاية انتصرت شهوة الشيكولاته علي، وقررت أن أفعلها مرة في حياتي.. قطعة الشيكولاته الأخيرة ستكون لي أنا لأول مرة في حياتي. خرجت إلى المطبخ في ظلام الصالة وقلبي يتوالتب في الضلوع. اتجهت للمطبخ وفتحت الثلاجة.. مددت يدي إلى الرف..

أنت لي.. لقد قالت الأقدار يوماً ما إنك لي!.. وأمسكت بقطعة الشيكولاته. هنا فوجئت بأنها مجرد ورقة مفضضة ملفوفة على لا شيء!.. هناك وغد ما قد أكلها ولفها بإحكام لتبدو كأنها لم تُمس!.. من فعلها؟.. لماذا تنام زوجتي بهذا العمق؟.. لماذا لم يصح ابني طيلة الليل؟

إن قصة (ورقة الكرم الأخيرة) تتكرر.. لكن صبراً.. سوف أعرف القاعل غداً صباحاً عندما أعرف من في البيت يحب كتابات (أو. هنري)!!



سدا جتي

يتعامل المرء أحياناً بسداجة

غير مقصودة قد تبدو للآخرين خبيثاً. أذكر أنني أيام الكلية استعملت لفظة بذيئة جداً أمام مجموعة من الفتيات، لأنني لم أكن أعرف معناها وحسبته نوعاً من استعراض براعتي اللغوية. الظريف في الأمر أن وجوههن جميعاً احمرت وبعضهن صدمن، وهو ما يعني أن الآنسات الرقيقات كن جميعاً يعرفن تلك اللفظة! ذلك الموقف الذي وصفته ذات مرة بـ (ذئب وديع وسط مجموعة من الحملان الشرسة).

عندما عرفت شبكة الإنترنت لأول مرة، تصرفت بسداجة واستعملتها للحصول على معلومات متخيلاً أن هذا هو الغرض من اختراعها، وفاتني أن الشباب حولوا الإنترنت إلى طريقة للحصول على الأغاني والأفلام والصور إياها فقط. صحيح أن المرء بدأ يتعلم

الاستخدام الصحيح للإنترنت، لكنه يتعلم ببطء طبعاً بحكم السن. تلقيت رسالة إلكترونية من قارئ فضل استعمال الإنجليزية، فرددت عليه بلغة إنجليزية مفرطة في عاميتها. لاحظت أن خطابه التالي كان بارداً جداً إن لم يكن عدوانياً. وفي نهاية الخطاب سألتني في حزم: "ماذا تقصد بلفظة *Babe* التي ناديتني بها في خطابك بالضبط؟". كنت أسمع العامية الأمريكية في أفلامهم فأجد أنهم يخفون لفظة *Baby* لينطقوها *Babe*. وبدا لي هذا نوعاً من البلاغة المحببة، لكن كان علي أن أفهم فيما بعد أن *Babe* هذه كناية عن أية فتاة في المواقع الإباحية! كل هذا بسبب رغبتي في استعراض براعتي اللغوية..

موقف مماثل حدث مع صديق سافر إلى الخارج وأرسل لي قرصاً مدمجاً عليه مجموعة طريفة من الصور المتحركة *GIF*. كنت بصدد تصميم موقع لي فانتقيت صورة لعينين شيطانيتين ووضعتها في بداية الموقع. مر الأمر على خير إلى أن تلقيت أكثر من رسالة من قراء يقولون لي: "هو أنت من دول؟!" و"صباح الفل". فيما بعد عرفت أن صديقي الوغد نسخ صورة العينين هذه من واحد من أشهر وأهم مواقع البورنو على شبكة الإنترنت!.. لقد كانت هذه

الصورة علامة الموقع المميزة ١. حاولت أن أزيل الصورة لكن وجدت أنني - كالعادة - نسيت كلمة السر التي تتيح لي عمل تغييرات في الموقع. هكذا ستبقى هذه الصورة للأبد تثبت لي أنني ساذج وتثبت للآخرين أنني ذئب!

عندما جربت ذلك النشاط البشري المعروف بالـ (شات)، اتخذت اسمًا مستعارًا طبعًا، ودخلت غرف الحوار لأسمع ما يقولون. لاحظت أنني ساحر وجذاب فعلاً ورغم أنني لم أفتح فمي، وأنني أتلقى اتصالات من أجمل مجموعة من الفتيات عرفتها في حياتي. فيما بعد وجدت أن الصور التي أرسلتها لي كانت جميعًا لمثلات أجنبيات شهيرات لا أعرفهن، ولهذا السبب طلقت الشات نهائيًا باعتبار كل ما يُقال فيه كذبًا.. حتى كلمة (صباح الخير) قد تقال في منتصف الليل.

صحيح أنني ساذج، لكنني لم أبلغ بعد مرحلة السذاجة التي يحسبونني بها، عندما أفتح صندوق بريدي كل يوم لأجد ألف خطاب من ألف زوجة زعيم أفريقي راحل. الزوجة الثكلى تقول إنها (ماجدا لامبو) أرملة الزعيم (أومبا لامبو) الرئيس السابق لجمهورية (كوكو لامبو) الذي - ونطلب له الرحمة -

اختلس 150 مليون دولار من مال الشعب وقام بإيداعها في مصرف كذا في جامايكا. المهمة سهلة جدًا هي أن الأرملة بحاجة إلى من يسحب لها هذه النقود والنص بالنص. فقط هي توسمت في شخصي إنني نصاب أمين وإنني سوف أكون خير من يقوم بهذه المهمة. يا سلام!.. اختارتني أنا بالذات من بين كل سكان الكرة الأرضية لأنني أوحى بالثقة!.. أنا المحظوظ الوحيد الذي سوف يذفر بـ 75 مليون دولار. ربما تسخر من الأمر لكن تذكر أن هناك أمريكيين صدقوا القصة ونهبوا إلى جامايكا فعلاً، وهناك تنتظر الأمريكي عصابة كاريبية ممتازة تعطيه علة لها العجب، وتسرق ماله وجواز سفره وثيابه ثم تلقي به في الشارع عاريًا مفلسًا. لا أشعر بأية شفقة عليه وأرى أنه يستحق هذا.. ماذا ينقص هؤلاء كي يعلنوا أنهم نصابون؟ ورغم هذا هو مصرّ..

إن الحديث عن السذاجة لا يتوقف، ويحتاج إلى عدة مجلدات، لكن المشكلة هي أن الجميع لا يصدق أنك ساذج إلى هذا الحد. إنما أنت تتخايث. كأنه يجب أن أسافر إلى جامايكا وأتلقى علة من حرم الرئيس (أومبا لامبو) كي يصدقوا أنني ساذج فعلاً!

لا.. لا يوجد شيء يستحق هذا كله..

لكنني إذا صادقت أحرص بشدة على ألا أصادق من يكتبون الشعر خاصة إذا كان رديكاً. لاحظت أن الشعراء المجيدين يبخلون بشعرهم كأنه الدر المكنون فلا يخرجونه إلا لمن يستحق وعندما تمس الحاجة له، بينما الشعراء الـ (نص لبة) - كما يقول المصريون - لا يكفون عن الصراخ بالشعر في كل وقت وكل حين. أنكر واحداً من هؤلاء كان يكرر قصيدة بعينها فيها مقطع يقول: "سقطت ذبابة في الدورق". كان يردد هذا المقطع بلا توقف بينما اللعاب يتطاير من فمه والجنون في عينيه. الأسوأ أنه يصرخ في وجهك بعنف، حتى أن من ير المشهد من بعيد يعتقد أنه يصرخ فيك وأنت عاجز عن الرد.

هناك دائماً تلك الأجندة المكتنزة بالقصائد تحت إبطه. في أية لحظة يخرجها ليبدأ في الصراخ. تمر أنت بمرحلة الإصغاء فالابتسام فالاعتفاء فهز الرأس فإظهار الملل فالتذمر الصريح فالهلع ومحاولة الهروب، لكنه مصر على أن ينهي المعلقة.. وقد قلت مراراً إنه لا شيء سوى الديناميت في الفم يقدر على جعل



تفلقني
أرمنه الأجدوى

عامة أحاول ألا أصادق أحداً على الإطلاق لأن الحياة أقصر من نضيعها في العلاقات الاجتماعية. اليوم يزورك ابراهيم الشماوي وزوجته وأطفاله الخمسة، ويقضي الأمسية كلها يحكي لك عن أمجاده ورئيسه الأحق في العمل الذي لا يفهم أي شيء، بينما تشغل زوجته في صفع هذا الولد القليل الأدب وضرب هذا وركل ذاك، وينشغل الأطفال في تحطيم كل شيء تحبه أو تعز به في البيت، وزوجتك تبتسم مؤكدة أن.. كراش ش ش!.. هذا صوت شاشة التلفزيون التي قذفها أحدهم بمطفاة السجائر. زوجتك تؤكد أنه لا مشكلة وأنها كنا نتمنى من زمن أن يتحطم هذا التلفزيون. وفي النهاية يرحلون كالمفول تاركين خراباً وأرضاً محروقة، عليك أن ترد الزيارة.. ونتيجة رد الزيارة أن يردوا الزيارة!..

الشاعر المتحمس يتوقف.

كل كلامه مفتعل بطريقة فظيعة. لا يقول (تصبحون على خير) وإنما (تصبحون على كتمان) حتى أتمنى أن أسمع ما يقوله للبقل عندما يشتري جبُّ، أو عندما يشكو للسباك من نسيان بالوعة الحمام مستحير أن يتكلم بلغة العامة مثلنا

أذكر أن أحدهم وقف ينشد لي الشعر في محطة القطار، وأنا أكرر استحساني بينما القطار يصفر منذراً لآخر مرة.. لو لم تتركب فهي مشكلتك وعليك أن تمضي ليلتك هذه.. لكنه مستمر مستمر هكذا لم أجد بداً من تركه بلا كلمة والركض للحاق بالقطار.

ثم تأتي لحظة الظروف! الظروف المكتنز التيء بالشعر الذي يعطيه لك، ويطلب رأيك فيه خلال يوم كأن المديعة في الانتظار، تحمله هادئاً للبيت كأنك تحمل صحيفة ذنوبك.

أما لعم الأخطر فهو أن تحضر مهرجاناً شعرياً يومه هذا الطرار من لشعراء عامة هذئ نوعاً من الشعر حالياً . شعر (أندرج عبر الطرقت لشتوية تحتقي أزمنة الالجدوى) وهذا النوع من الشعر لابد أن يظهر فيه دور كيشوت في لحظه ما

هناك أكثر من (بهد) ومقطع يحوي تجديفاً يقشعر له جسدك يضعونه خصيصاً كي يثير عصب الجهات الديدية فتشأ معركة على حرية الإبداع ولرقاسة على الصنائير الخ. وهي معركة تنتهي ببيع كل مسح لديوان على كل حال لابد من كلمة (يب سيدتي) هنا وهناك لإصعء لمة نزار قبانية على لموضوع النوع الثاني من الشعر السائد حابٍ هو (مات لدي قد كن ببرسا. من بعده ساد الأسى الدسا) سوف تسمع الكثير جداً من هذا الكلام حتى ينفجر رأسك، ثم يظهر ناقد يمسح شفته لسملي في قوف ويتكلم عن ٢٠ البنية الإبداعية لكوزموبوليدنية في رهدصت ما بعد الحداثة. هذه هي امارسة المبهجية القولية للقدية تكشف عن نفسها داخل الطرح البنيوي.

نعم.. إن الشعراء خطر داهم يمكن أن يدفعك للانتحار ما لم تكن قد انتحرت فعلاً حتى هذه اللحظة. على أني شعرت أن بوسعي أن أحبهم، عندما دعوت ثلاثة منهم إلى عرومة من (لحمة الرأس) في مطعم قريب، ورأيت كيف يلتهمون الطعام في نهم شعري وكيف يفرغون العقدم من الخاع ويقذفون أصابع اامبار

ثلاثًا في أشدّ قهَمٍ عندها عرفت أن الشعاريه الإبداعية
لكوزمبوليتية قد تمرو كل جزء في كيك، لكنها تترك معدتك
بشرية كما هي.

سيما.. سيما

قررت لفترة أن أتابع
الأفلام العربية الحديثة التي
تقدم على العصابات، على



الأقل لأرى ما يراه أولادي طيلة اليوم لسبب ما شعرت للحظة
بأنني أرى الفيلم ذاته ألف مرة، فدائمًا هناك مجموعة من
الشباب.. عادل يحب منى ومنى تحب سمير ومنى تشعر أن
مصطفى يحبها، لكنه في الحقيقة يحب مها، وسلوى تخدم
مصطفى وتقنعه أن كوثر لا تحبه، بينما سمير يحب معتز المهم
أن هناك حشدًا من كل أنواع الألوان الفتية والفتيات بحيث يضمن
الفيلم ألا يفتت منه مشهد واحد. ثم يظهر مطرب شعبي من
مكان ما ليمسّي أغنية شعبية من، بصوت رخيم مسروق يعني
ليس صوته وإنما هو بصطنعه اصطناعًا. ويذهب الجميع إلى شرم
الشيخ ليرقصوا بالمايوهات على الشط، ثم يظهر (حسن حسني)
الممثل المصري الذي صار جزءًا من تقنيات السينما كالتصوير

والموتاج والموسيقا التصويرية وحسن حسني هناك ابيه الشرير الذي يريد تهريب المخدرات أو غسيل الأموال وهو غالباً سامي العدل. رأيت ألف مرة رهابيين عالميين ملتزمين ينوون اغتيال شخصية سياسية مهمة، ورأيت مليون مرة البطل يقمر قفزة جانبية واسعة ليطلق الرصاص بمسدسين بحوث وهو مستمر في اسقوط بالسرعة البطيئة لو كنت لا تعرف كيف تسقط بالسرعة البطيئة فأنت لا تصلح بطلاً لأفلام الأكشن. كما رأيت قريباً من الرجل الأشده يتقدمون صفاً بالعرض نحو الكاميرا بدأت السرعة البطيئة بيدم المجرم مروع - بعض هو الآخر - يدوي خلفهم. ولا واحد منهم يلتفت للحلف لأنهم أشده كما تعلم. من ير هذه الأفلام يعتقد أنه يعيش في شيكاغو في عصر تحريم الخمور لابد من قصيدة لأحمد فؤاد نجم ومظاهرة وحرق العلم الاسرائيلي. هذه أشياء قد لا يكون لها أي دور في الفيلم لكنهم يطلقون عليها (استوايل لسياسة) وكما قلت هي توبس لهذا لا يكثرون منها حتى لا يفسد طعم لطيفة.

فقط كدت أصاب بنهيار عصبي عندما عرفت أن هذا كله ليس فيلماً واحداً بل عدة أفلام و لأسوأ أن هذا كله اسمعنا

للسينما الأمريكية حتى لقطة لرجل انديس يتقدمون صفاً بالسرعة البطيئة ليخربوا بيتك هذه الأشياء فعلتها السينما الأمريكية وما رالت فعلها، لكنها بالطبع فعلتها أولاً وفعلتها الفصل بحكم الإمكانيات.

عندما قدمت ساندرا نشأت فيلم (ملاكي سكندرية) تفاءلت بهذه التقنيات الجديدة وألماب الكاميرا، لأنها جددت بعض دماء السينما المصرية المتجمدة المشكلة بعد هذه الأعوم أن الجميع قلد ساندرا نشأت إلى درجة أن الدماء الجديدة تجمدت بدورها

في الماضي كان الموظف هو الذي يفرض السينما التي يريد أن يراها، لهذا كان بطر لقيم موظفاً أو معلماً أو محامياً ثم بدأ نجم الحرفيين يعلو في مصر هكذا فرضوا السينما الخاصة بهم، وهي المرحلة التي اشتهرت بـ (سينما البدو)، ثم جاء الشباب من جمهور المولات الذي يريد أن يرى فيلماً خفيف ينسبه هو وبناته، وهو مسعد لدفع التذكرة لهلية نسبي هكذا تكيفت صناعة السينما بالكامل لإرضاء هذا الشاب الذي يريد أن :

1 يرى بعض حكيات أصحابه في الكلية على الشاشة

2 - يرى عدة فتيات جميلات يلبسن آخر موضة

3- يسمع أغنية من ألبوم المطرب (شادي زياي) الجديد

4- يرى عدة مطاردات وسيارات تنقلب وتحترق على
سبيل إخراج طاقة التخريب الدفينة فيه

5- بعض الحوار اللاذع (الروش) والنكات اللظية

6- لا بأس بجزء سياسي يشعره بأنه ثائر وليس تافهاً إلى
الحد الذي يعتقد أنه أبوه.

وهكذا تحولت صدعة السيف المصرية بالكامل ويبدو أنها
ستبقى كذلك لفترة طويلة جداً. بعض الأفلام الجادة العميقة
تخرج رأسها من الحجر من فترة لأخرى مثل (ملك وكتابة)
(شقة في مصر الجديدة) و(حال من الكولستيرول) و(بوابة
لشمس) لكن رأسها يقطع فوراً باعتبارها تجديدًا صريحاً.

وبما أن أولادي لا يكفون عن مشاهدة هذه الأفلام
والاستمتاع بها بلهز الألف، فليس عدوى تفسير سوى إتني عبي

أنجب عباقرة، أو عبقرى أنجب أغبياء. الاحتمال المخيف أن
يكون جميعاً أغبياء ونحن لا ندرك ذلك، ويكون العبقرى الوحيد
هو جاري الذي أفلح مهائياً عن فتح جهر التميزيون. لا لم يبعه
لأنه ما زال يجده مفيداً كمنصدة يضع عليها لبطرة والساعة
عندما ينام!

كلي يا حبيبتي



نعم يا (رانية) . أعرف أنك تحبينني وأنتك تتعذبين،
وأنتك لا ترغبين في تذوق طعام المرء إلى أن يصير مملاً للأبد، لكن
لبدئك عليك حاف، وبهذا أثبت بك إلى هذا المطعم العاخر كي
أطعمك قليلاً.. حتى تجدي في عروقتك لقدرة على المزيد من الحب
والهزن..

كلي كلي يا صغيرتي.. أممي فجان القهوة السوداء لا
أريد سواه لأنها رخيصة لأنها أقرب إلى الاكتئاب الذي أمر به.
إن لحياة من دور حبيبتي ليست حياة أصلاً لهذا أشرب القهوة
السيئة كي تصرق معدتي وكي ترفع ضغط دمي إلى أن تنفجر
شرايين مخي.

نعم.. التهمني السلاطات كلها.. ما شاء الله.. إن أكل

السلاطة بالشوكة لا يسمح للمرء سوى بالتقاط قس قليل، لكنك
تغربين الشوكة فيفرغ الطبق.. حبر أيضاً؟ هل تريدن بعض
الماء كي يساعد على البلع؟.. تذكرت أشعب الطفيلي عندما كن مع
ابنه في حفل زفاف وشرب الصبي كوب ماء فصعقه أبوه قائلاً: لو
أنت اتخذت بدلاً من هذا الماء بصع لقيمت! . قال الصبي: إن
كوب الماء يفرغ مكاناً لمزيد من الطعام هب صفعه أشعب لنية
قائلاً: لماذا لم تخبرتي بهذا من قبل؟؟

ها ها.. لماذا تذكرت هذه القصة الآن؟.. لا أعرف..
أشربي الحساء يا صغيرتي لرقيقة المعذبة. لا لا دعني بلشرب
من الطبق مباشرة.. أشربي بالمعلقة..

نعم يا رانية.. إن قصة حينا خالدة ولن تموت، حتى لو
كان أهلك لا يوافقون على شحني لأنني فقير ولأنني ثقيل الظن
بوجه عكس. تلتهمير المكرونة الآن. أنا فعلاً معجب
ببراعتك. الشوكة لا تقدر إلا على حمل حبة من أعواد المكرونة
لكنك تنقلين بها نصف الطبق إلى فمك..

أشربي بعض الماء.. أنت تعرطين في وضع أحمر الشفاه

كأنك أكلت إنسانًا حيًّا.. لا.. هذه صلصة الكرونة..!.. معجب أنا
بطريقتك في تمسيخ لحم الدجاجة إن هي إلا لمسة واحدة
وتحولت الدجاجة إلى أشلاء. لم أر أحدًا يفعل هذا سواك وسوى
(أبو لهب) في فيم (فجر الإسلام) جميل.. جميل.. يسعدني أن
أرى فمك الدقيق الصغير يمحو كل أثر للدجاج هنا..

المريد من الكباب؟.. أنت تقطين أصابع الكفتة إلى فمك
برشاقة رائعة إصبع.. إصبع.. ثلاثة لا هذا إصبعك أنت
فلا تأكله من فضلك.. أنا سعيد جدًا لأنك تأكلين.. سعيد لدرجة
أنني سأطلب فوجن قهوة آخر..

ماذا كنت تقول؟.. آه الحب والحاجة إلى أن يكون معًا
لأبد.. إن أبك رجس قس وأمك.. لا.. لا داعي للعق الطبق
بعد أن أكلت اللحم أعرف أنه مبلل بالصلصة الشهية المتخلعة عن
الشواء، لكن المظهر غير محبوب.. أحب طريقتك الرشيقة في شرب
المياه الغازية. ثم تتجشدين في رشاقة قبل أن تنتقلي لطبق آخر..

آه.. الجمبري.. في مصر يسمونه الجمبري وفي الخليج
يسمونه الروبيان.. لا مشكلة. المهم أنه يحتفي من على ظهر

البيضة بسرعة البرق. على فكرة.. عرفت صديقين درساً في أكبر
معاهد السياحة والفنادق، وبرعم هذا يعجرون عن انتزاع لحم
السكة بصرية سكين واحدة كتب تعلين أنت! أنت جميلة
وبارعة حقًا..

بطيخ مع السمك؟.. للناس فيما يعشقون مذاهب.. حبت
العنب مع البطيخ في شوكة وحدة ثم تمسين هذا كله في لآيس
كريم قبل أن ترفعيه لقم. فكرة جميلة فذكريني بأن أجربها.
الأجمل أنك تقبعين هذا بإصبع من الكفتة!.. ثم كوب من الماء.

عندما نتزوج يا رانية سوف أصحبك لهذا المطعم كل يوم
فمن الواضح أنه يروق لك معجزة حقيقية أن تتمنعي بهذه
الشهية وتحتفظي برشاقة تقولين إن هذه شهية ليست من
عائتك لكك سعيدة الليلة.. أدعو الله ألا تسع..!.. أن تسعدي
للأبد ما دام هذا يجعلك تأكلين بشهية..

تريدين صود خلة؟.. هل ستأكلينه هو الآخر؟.. أه..
تريدين تنظيف أسنانك.. حسن.. سوف أحضر لك علبة كملة.

كلام كثير يا رانية أريد أن أقوله لك، لكك تفضلين أن



ملاك صغير جدًا

أحب الأطفال جدًا وأراهم رحيق
الحياة وعبقها، لكن هذا وهم صغار جدًا
أقرب لقطط صغيرة هشة ندية لعوب،

فإذا تحولوا إلى تلك الكائنات المرعبة ذات الأسنن الأمامية
الناقصة والميركيروكروم على الركب، فبني أكرههم كطاعون .
هذه الكائنات المرعبة تمرق كتبك وتبعثر أوراقك وتخدش سيارتك
بالسامير وتقذف الطوب على رأسك، فبدد حاولت الانتقام قال
المجتمع: "إياك أن تلمس هؤلاء الملائكة الصدر أيها السدي
المحرف!"

عندما تزوج (عصام) واختلي بمروسة (نباء) في عش
الروحية ثم يكن يعلم بهذا. كار قلبه يخفق كأنه طير امجدون
عندما قرع باب الميت فاتجه ليعتجه. لوقف على الباب كمن
صبيًا في السابعة ينسكب شعره الأسود الفاحم على صف وجهه.

لنتظر حتى تصل الحلوى.. طمتها وصلت فعلاً.. ليكن.. أنا فقط
بحاجة إلى إجراء مكالمات مهمة ويجب أن أبحث عن هاتف هنا.
تقولين.. هاتمي الحلوى يطل من جيبي؟.. ربما كنت كذلك
بحاجة إلى دخول الحمام.. اللهم إني مضطر للنهوض كلي
وستتمني بالحلوى إلى أن أعود.. إن تأخرت لا تقلقي سأعود
بالتأكيد وحياة عبيك الجميلتين، وعندها نتكلم عن حياتنا معاً..
عن اللحظة التي تصيرين فيها زوجتي وأكون مسئولاً عن طعامك
وشربك وملبسك..

إن أباك رجل عظيم حقاً.. تقولين لي: ما هي المناسبة؟..
أقول إنه مجرد خاطر عابر.. لا تتحركي من مكانك. سأجري
المكالمات وأدخل الحمام ثم أعود....

وفي عبيده نظرة شقية لطيفة.

-أنا (ميدو)، ابن الجيران.*

معلومات جميلة جداً ولكنها كافية، هكذا أوشك عصام على
 علق الباب، لولا أن (لمياء) هرعت ترحب بالنظر الجميل عائلة أن هذا
 من تقيد الأوثان. أدخلته وقدمت له بعض الحلوى وراحت تثرثر
 معه وتقوله، ثم فنحت جهاز التلفزيون لي شاهد (سبيس توبس)
 معها. ذل عصام يروح وبجيء في الشقة مستطراً أن ينتهي كل هذا
 الهماء. يكن يبدو الملك الصغير جائع قدمت نتسخن له بعض
 الصمغ فأكد وشبع، ثم استلقى على الأريكة وغاب في نعاس عميق.
 أوشك عصام على حمده لرميه خارج الشقة، لكنها صاحت في جزع

— "سوف توقظه ؟"

وحملت الشيطان الصغير إلى فراش الزوجية ووزعت
 حدائيه ثم غطته بشرف خفيف وتركته لييام براحتة حاول
 عصام إقناعها أكثر من مرة بأن أسرة الحبي حتمًا - قلقة
 عليه، لكنها أحرصته بنظرة حارمة تقول بوضوح "يبدو أنك
 لست الرجل الذي ظننته الرجل الذي يعام هذا الملاك الصغير

30

بِقِسْوَةٍ لَا يُؤْتَمَنُ عَلَى زَوْجَةٍ رَقِيَّةٍ مِثْلِي."

ثلاث ساعات والوغد الصغير نائم، مما يدل على أنه بلا
أهل، أو أن أهله سعداء للتخلص منه في النهاية استيقظ من النوم
فجلس في الصلاة يشاهد (سببس تونز) بينما هرعت (لياء) تعد
له بعض عصير العاكةة. في النهاية وقد انتهى عصم تمام وصار
يفتح عيبه بمعجزة، أعلن ميدو أنه سيعود حتى لا تقلق عليه
ماما.. ووعدهما بأن يزورهما كثيرا جدا..

بدأ الأمر يدخل دائرة الخطر عندما فتح عصام الباب في الساعة من صباح اليوم التالي، وهو مكشوف الشعر حافي القدمين، ليجد ميدو يسأل عن طانط (ليا)، وسرعان ما كان يفتحهم لشقة ويهرع إلى عرفة الموم ليوقظ لعروس لعائمة لقد صار المشي في الشقة حقاً مكتسباً له لأنه ملاك صغير كما تعلم.

في موعد الغداء أعدت لياء بعض دببيس الدجاج المقوية..
هنا دق جرس الباب ودخل يبدو وفي يده إصبعان من الكفتة وفي
اليدين الأخرى عود خشبي غرست فيه قطع من (الشيش طاووق)
سأل عما يأكلان فأصرت لياء على أن تدس في يده بعض دببيس

الدجج وهكذا عاد الشمة راضياً وقد نسي غداء العروسين مدافاً فلم يبق لديهما ما يأكلانه إلا لسلطة وفوجى عصام به يصعد الدرج قاصداً شقة أخرى. إن هذا الشيطان الصغير يمر على شقق البنية ليجمع اللحم من كل شقة! هو لا يضيع وقته في جمع المعككة أو لأرربل هدفه محدد وواضح. النتيجة أن البنية كلها صارت تعج بالجياج!

بعد ساعتين عد الصبي لييام على الأريكة ثلاث ساعات كاملة. عسى الأقل في هذه المرة جاءت أمه وهبات العريسين، وقالت إن يبدو يحبهم جداً لكنها تشعر ببعض الخجل لأنه يضاييهم. قلت لمياء إنه لا شيء يسعدها مثل رؤيته.. هكذا صاحبت السيدة في مرج:

"وهو لا شيء يسعده أكثر من هذا. فنبق معهما يا ميدو ولكن لا تتأخر عن العاشرة مساءً!"

وتركته.. وعندما بدأ يصرخ طائفاً لعبة أصرت لمياء على أن يأخذ عصام إلى اسوبر ماركت ليدفع ما يريد لأنه ملاك صغير هكذا ترب عصام معه وهو يسب ويلعن في سره، وهناك شعر بأن

الصبي لا يختار لعبة وإنما هو يقوم بتعبئة جوال بطاطس في حقل.. إنه يدعي ألعاباً لا يريدونها ولا تهتمه في شيء فقط لتكون عنده، ولربما كي يحرم صاحب السوبر ماركت منها!

هكذا تحولت حياة عصام إلى جحيم بسبب يبدو الموجود في كل زمان وكل مكان.. هذا الصبي أكبر من الواقع. أكبر من الحياة ذاتها.. إنه كابوس..

وكيف انتهت القصة؟ بما أنت نعرف أنها لن تنتهي إلا بالطلاق أو الانتحار أو قتل الملاك الصغير، وبما أن هذا المقال يفترض أنه فكاكي، فبني سأنهي القصة عند هذا الحد وأترك تصور النهاية لخيالك الخاص!

هكذا أرسلت موافقتي..

بعد يومين كان هناك حادث سياسي جلس تكلمت عنه
الصحف، فدخلت ذلك المنتدى لأعرف رأي الشباب وما يقولون..
هنا وجدت هذه السطور المريعة:

-الدمار المدمر: حماء ودجاج بابه.. رجل المستحيل:
مكروسة ولحم مسلوق فتة الغد. مكرونة وحساء ودجاج
بابه.."

وهكذا على امتداد ثلاث صفحات كاملة.. وقد أصابني
الرعب لأنني افترصت أن هذه شفرة مهمة، ويبدو أن شباب هذا
المنتدى قرروا أن يقوموا بعمليات على أعلى درجة من الخطورة
إن الشعارات المتعلقة بالأكل شهيرة جدًا في العالم العربي..
أذكر أن شفرة التحذير من هجوم من ناحية إسرائيل في حرب
1967 كانت (عذب عذب عذب). وهي الإشارة التي أرسلها
الشهيد (عبد الممنع رياض) فجر يوم 5 يونيو فلم يتلفه أحد أو
تلفوها وحسبوا أنه رجل يشتري لعب، أو أنه يتدبأ بأعبدة سعد
الصغير التي سيغنيها بعد هذا بأربعين عامًا (العذب. العذب).



الشفرة الغذائية

عندما تلقيت الدعوة على الإفطار في رمضان من ذلك
منتدى على الإنترنت، قبلت على الفور ومن دون تمكير.. لا
يجب أن ينتظر المرء ليتمكر عندما يتعلق الأمر بالطعام المجاني.
وهناك مثل صعيدي لا أذكر نصه يقول "لا أحد يموت من الأكل
من يمت يمت جوعًا" صحيح أنني سأسافر من مدينتي إلى
القاهرة، ويكون علي أن أعود بعد الإفطار بمعدة ممتلئة وجسد
ممتلئ، وحجاب حاجر مرتفع، ومخ تدنى الأكسجين النواصل له.
لكي قلت إن لأكل يأتي أولاً وبعد هذا مفكر.

أذكر كذلك الشفرة التي سمعناها من إذاعة فتح وتقول:
"لوبيسكي في لطريق.. واصلوا الرقص الله معكم!" . طبعاً معناها
هو (الذخيرة قديمة.. استمروا في المقاومة.. الله معكم)..

هناك شفرة شهيرة جداً هي (السنجة في الرنجة) وتعني
لقتل لموري، وقد ستمعلت في أحد أفلام فؤاد المهندس،
واشتهرت مع شفرات أخرى غير عديدة مثل (العلة في العائلة)
(العملية في النملية).. و(لقززة في البرازة)..

لهم أن الذعر أصابني ورحلت أتخيل ما قد تعنيه
(مكرونة ودجاج بنيه) هذه، وهن عني أن أصبحهم بالتروي أم
لا؟ . ثم فوجئت باسمي وأمامه العبارة الرهيبة (مكرونة ودجاج
مشوي).. يا نهار اسود!

هنا فهمت.. إنهم يحصرون ما ينوي أن يأكله كل واحد
من ضيوف الإفطار وهو نشط محمود، لكن لا أفهم أن يأخذ كل
هذه المساحة على الإنترنت.. دعك من أنني ريفي أعتبر الأكل من
لأسرار الحميمة، لهذا لا أفهم أن يدع على الملأ ليقرأه كل من
يقرأ العربية على ظهر الكوكب. نفس لمنطق الذي يجعلني

عاجراً عن فهم إعلانات لرواج لتي تحبر انجميع أن فلامه مستند
في فراش فلان هذه الليلة!

تمنيت لو استطعت رفع اسمي من هذه القائمة الرهيبة..
لكن الأوان قد فات على كل حال..

وفي اليوم النوعود ذهبت إلى الإفطار.. جلست إلى المائدة خافض
الرأس كاسف البال، هن وجدت أنهم وضعوا أمام كل من طبق فيه
أرز وربع دجاجة مع برام خضر لكل ثلاثة. لم أفهم السبب كنهم
قالوا لي إنهم وحدو وجبة الطعام معاً لحدث ارتباك

إن ما لزوم حملة التشهير هذه على الإنترنت؟..

تناولنا الإفطار ولحمد لله أنني لم أشبع بما يكفي. هؤلاء
القوم لا يملكون فكرة عن شهيتي، فهذا لدي أكلته هو أقرب لي
المر الذي أغبر ريتي به بعد اصيم . هكذا وجدت في نفسي
القوة والعافية اللتين تسمحان لي بالسفر عائداً إلى مدينتي.
سألوني عما يدعوني إلى الإسراع فقلت في جدية "أريد أن أتناول
الإفطار.. أنا جائع!"

وما زالت تلك الصفحات موجودة على الإنترنت بعد



كلب عبور وحيلة جديدة

كان من سوء حظي أنني

تعلمت قيادة السيارات على كبر،

وفعلت هذا مصطراً لأنهم قالوا لي إن الطبيب يجب أن يملك سيارة.

كنت أعتقد أن الطبيب هو الذي يكشف على المريض ويكتب له لعلاج

وليس سيارته، لكنهم أكدوا لي أنني أحمق كالعادة..

هكذا اضطررت آسفاً لشراء سيارة . واضطرت آسفاً ستعلم

القيادة. الرجل الذي تولى مهمة تعليمي قدّم السيارة إلى منطقة

مائية قرب الحقول، ثم ترجل وطلب مني أن أحث مقعد القيادة،

وقال بلمهة تقريرية:

”دس على البيرين والدبرياج معاً ثم عشق لسرعة الأولى،

وارفع قدمك ببطء عن الدبرياج، وزد البيرين، ثم سقل للسرعة

الثانية.. هيا!”

عامين، نعى بوصوح أنب مجموعته من اسرهيير الذين اجتمعوا
ذات يوم في رمص لالتهام الدجاج والأرر والمكرونة واللحم. هذا
بالطبع إى أن تشك لخبرات المركرية الأمريكية في أن هذه
الصهجة تحنوي شجرة غصصة رهيبة، وترسلنا جميعاً إلى
جوانكندمو!

كن هذا جميل ، لكنني لا أعرف ما هي السرعة الأولى ولا الثانية ولا أعرف ما هو (لديرياج) هذا الأحق يعتقد أنه يكلم (مايكن شوماخر) وبو كنت بهذه البراعة فلماذا طلبتك أصلاً؟ .

في النهاية تحركت العربة فرح يطلق التهليل ويعتدح برصني المدهلة . إنني أقود السيارة كما تسبح السمكة في النهر.. كما يحلق العصفور في سماء صافية.. كما..

ثم أدرك أننا لا نتقدم . وبرعب لاحظ أننا نرجع للخلف.. اكمل رعبه عندما أدرك أن ما يوجد بالخلف هو بركة كبيرة عميقة..!

لجأة ربح يصرخ في هستيريا:

"دس لفرملة! لا تصبط البندوب!.. شد فرملة اليد!.. توقف!"

شرخت له في هدوء ونحن نواصل رحلة الغرق ماشين للخلف أنني لا أعرف مكان الفرملة، ولا أعرف أين فرملة اليد هذه .

كان قد عاد لصوابه فشد فرملة اليد في اللحظة الأخيرة، ثم سقط معشياً عليه لبعض دقائق لا أعرف سبب توتره لهذا الحد..

المفترض أنه محترف..

على كل حال واصلت الدروس معه، وجاء اليوم الذي قل لي فيه بوجه شاحب غارق بالمرق إنني صرت مؤملاً لأمشي في الطرقات وحدي، وودعني وأطلق ساقيه للريح لا أكر أن تشعر رأسه كان أبيض عندما بدأنا الدروس لكنني أرجح أنه كان يصعبه وكف عن ذلك..

هكذا قررت أن أبدأ وحدي تجربة القيادة.. ركبت السيارة واطلقت..

لاحظت أن هناك صف طويلاً من السائقين لعصبيين يمشون خلعني ولا يكفون عن إطلاق آلة التنبيه.. ماذا أصاب الناس ليصيروا بهذه الوقاحة؟ . كنت أعتقد أن السير بأسبيرة يعتمد على استعمال السرعة الأولى فقط، أما السرعات الباقية فهي هنا من أجل الشباب الرقيق الذي يسبب لحادث على الطرقات كانت النتيجة هي أن السيارة ارتفعت حرارتها لدرجة غير مسبوقة وبدأ الدخان الأبيض يتصاعد من الرادياتور بلا توقف اضطررت للتوقف في شارع صيق مما أزعج 36632623 سيارة على

التوقف في صف خلفي. لسبب ما راح كل واحد يبرز من سيارته ويشد شعره ويلوح بقبضيه.. الناس لم تعد مهذبة كما يبدو.

انتهت مرحلة التعلم وبدأت مرحلة التركيز في القيادة.

كلما قبلت صديقاً قار به لوح لي أمس لكني لم أكن أرى ولا اسمع لأنني كنت منجماً في القيادة لسبب ما يمتد هؤلاء أن علي أن أقود السيارة فلا أنظر أمامي أبداً، بل أتلفت يميناً ويساراً بلا انقطاع بحث عن أصدواني المتشربين على جانبي الطريق ذات مرة لوح لي أحدهم وهو يقف على جانب الطريق فعلت مباشرة لأقف أمامه وأنا لوح بدراعي سمعت صوت حديد يتحطم وصوت فر من ثلثن نظرت للخلف فوجدت نحو خمس سيارات قد اصطدمت ببعضها ولسبب هو أن الأحمق الذي يقود السيارة خلفي توقف فجأة لمذا يقود الناس سيارات إذا لم يكونوا يجيدون هذا؟ هكذا أركبت صديقي واطلقنا فركب خمسة سائقين يتبادلون السباب والكلمات.

أثناء انطلاقي بالسيارة سألت صديقي عن سبب شجار هؤلاء، فقال لي بلهجة عامصة "هناك مثل إنجليري يقول أنت

لا تستطيع تعليم كلب عجوز حيلة جديدة!"

لم أفهم علاقة هذا بسؤالتي.. لم أر كلاباً عجوزاً في مكان الحادث يبدو أن الجميع قد فقدوا عقولهم ألا ترى هذا معي؟

نيولوجيزم



لنيولوجيزم أو اللغة

اجديدة ظاهرة ضيقت لآباء ولعلميين على مدار التاريخ، وفي كل مرة تنبصر لتولد مصطلحات جديدة تمامًا، ثم يصير مستعملو هذه اسعة الجديدة آباء ومعلمين يصيبهم الجسور عندما يستعمل أبناؤهم لغة جديدة!

في مراهقتي ظهرت في العامية المصرية نظمتان هما (سكة) - بفتح السين - ومعناها (لشيء الرديء عديم القيمة) و(ماشى) ومعناها يشبه OK وهم كلمتان معقولتان جدًا لكن أبي كان يوشك على الإصاغة بانعاج كلم استعملتهما، وقد قال لي ذات مرة.

"هنا بيت محترم وإذا أردت استعمال لغتك هذه فلتذهب

لبيت آخر!"

لم تكن مدام (عفيغي) تعرف شيئًا من هذا عندما ذهبت للمكتبة المجاورة لدارها وهي شبه منهرة لأن أبيها المراهقين يتحدثان بلغة هي مزيج من السبسكريتية والعلمية، وقد فهم الرجل الخبير مشكلتها على الفور وأعطاه قاموسًا صغيرًا كتبه أحد الشباب اسمه (قاموس روش طحن). وقد تصفحت امرأة صفحاته فأصابها الهلع لشد ما تعيرت لغة اشباب وصارت لهم مصطلحات خاصة بهم لا يمكن فهمها..

استيقظ ابنها الأكبر طالب الثانوي من النوم فقال لها:

"أنا زهقت من الانتخة العوق دي.. فين الاصطباحة؟"

تصفحت القاموس بسرعة فكادت ترى شريط ترجمة يرتسم على صدره كتب عليه: "لقد سئمت هذا الجلوس لمس في البيت. أين الإفطار؟" أعدت له الإفطار مسرعة فظهر أخوه طالب الجامعة، وراح يأكل وهو يقول له: "لود شريف حلق لي امبارح. الواد ده شحاف وبوتتي"

فقال أخوه في لا مبالاة: "كله في لأمبلايظ أدري له سلك

يا مان.."

أملايظ؟ أية كارثة؟ راحت تتصمخ القاموس بسرعة
حتى فهمت ما يُقال الأول يقول لأخيه إن الولد (شرب) مدع
ولا يفهم شيئاً وقد عمله بوقاحة وتجاهله أمم.. فيرد الأخ أنه
لا شيء بهم.. يمكنهما تسوية الأمر بمكالمة هاتفية..

انتهى الغداء فهصر الابن الأكبر يسألها: "إيه النظام..
أبجيني يا ماما"

بمراجعة القاموس عرفت أنه يسألها عن ثقود لأنه
سيخرج. وكان القاموس يحتم أن ترد عليه بـ (لنظام ستسم)..
أي أنها لن تعطيه مليحاً..

بدأت تتعلم هذه المصطلحات ووجدت أن اللعبة مملية
خاصة أنهما يتكلمان غير هامين أنها تتابع ما يقولان.

كنت جالسة مع الأب على مائدة الغداء، عندما سمعت
أحد الولدين يتكلم من غرفة النوم:

"بت قاطع ودنك وراميهما في حجري!"

فيرد الآخر:

"وانت معاك فار مولع!"

لم يفهم الأب حرفاً وبدأ عليه الرعب، فقالت له في هدوء
وهي تتصمخ القاموس:

"الأول يتهم الآخر بأنه ينصت على كل شيء يقوله،
بيدما الآخر يتهمه بأنه يدخن نفقة تبغ. الغار المولع معناه لفافة
تبغ."

ابتسم الأب وقد استراح لأنه فهم، ثم استوعب معنى هذا
الكلام واحتقن وجهه.. لعافة تبغ في البيت! كان يتوقع هذا.
ابنه طالب الجامعة يدخن إذن!

قام بالإجراء التربوي العتييد بأن سرع شهبه وحمله في
يده وتواشب نحو غرفة نوم الولدين ليبيد العدالة إلى مجرهم،
وفتح الباب بقوة..

هذا رأي أول ما رأى فأر مشتعلاً يجري فوق أنفوش
ليتوارى تحته، ثم رأى أذنًا مقطوعة على الأرض!!

في المستشفى رقد الولدان في لغراش غرقين في الصدودات،

وقد أكبرهما للأب والأم:

"لقد شرحنا لكما الموقف بدقة لغوية تامة لكنكما لم

تفهما!"

قلت الأم:

"مشكلة الديوبوجيزم أنك تنحصر أن كل كلمة لها معنى

آخر بعيد، وهو ما يعني أنت في مازق حقيقي!"

سوف يستمر هذا المارق لسنوات عديدة، إلى أن تولد كلمات

جديدة، وتصبح كلمة (أمبلايظ) كلمة عتيقة جداً بالنسبة لشباب العد،

ولربما حسبها بعضهم قادمة من معلقات إمرو القيس أو عنقرة بن

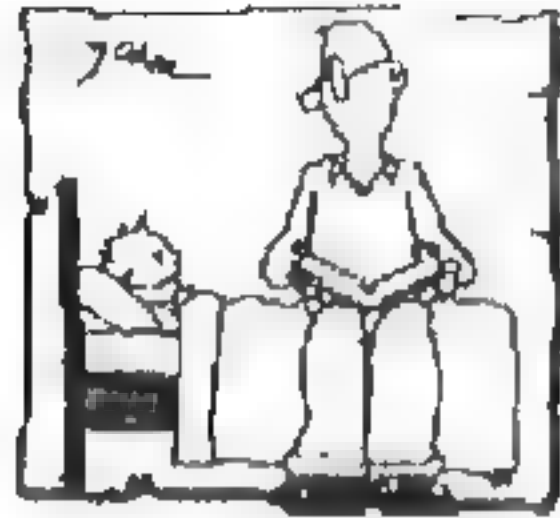
شدد.. هههه سوف يفهم الولدان ما نشعر به الآن!

هيافة

لقد كبير

أولادي.. ما شاء الله..

هذا يسرني بالتأكيد



لكم يحرمي حقي في ممارسة بعض ما صطلح ليد على أنه

(هيافة).. ولهذا قصة يطول شرحها..

الهيافة هي مصطلح عامي معناه (التعذرة) مع شيء من

الخرق وانعدام المسؤولية وتضييع لوقت فيما لا طائش من ورائه .

مع لسة سخف لا بد منها طبعاً..

يجب أن أعترف هنا اعترافاً خطيراً هو إنني أحب قراءة

مجلة (ميكي) جداً.. هذا استدق نفسي الجميل بريشة أعظم فني

العصر مع ذلك العالم لساحر البسيط. علم من لبط والكلاب

والفئران وكل ميت بينيه صاحبه بنفسه، وأمامه سيارة مضحكة

وصندوق بريد خرب، والمليوثير العجور الذي يعصي الوقت في عدد
لـ، والبطّة لعصبية ابغرورة الظريفة معدومة المواهب.. الخ .
أعشق هذا العالم الساحر بشدة، وكنت أتابعه بشغف
حتى أنهيت الجامعة، فبدأ منظري غريباً جداً وأنا أبتاع هذه
المجلة من بائع لصحف العجور المتشكك عم (مأمون)، خاصة
وهو لا يكف عن ترديد لمظة (ب دكتور) لا يقصد بها احترامي بل
توبيخي طبعاً..

لو أنك رأيتني وأب أبتاع المجلة وأنظر حولي في حذر،
لظننت أنني لا أبتاع مجلة أطفال وكس جرعتي اليومية من
الهيرويين أو الكوكايين.. قد أملك بعض (الهيافة) لكنني بالتأكيد
لا أرغب أن يعرف الناس جميعاً بذلك. ثمة حل معقول هو أن
أفعل ما أريد ولا أهالي بالناس.. لكن السجور على قدر علمي تعج
بهؤلاء الذين فعلوا ما أرادوا ولم يبالوا بأحد..

هكذا توقفت عن شراء المجلة لفترة طويلة جداً إلى أن
عرفت الحل السري تروجت وأجبت. 1.. الآن صار عندي طفل
جميل لابد من تثقيفه وإمذعه . هكذا عدت إلى بائع الصحف

العجوز العم مأمون لأقف في فخر وكبرياء وأقول :

“هات مجلة ميكي لمحمد ابني..”

فيقول في رضا وطيبة :

“بارك الله لك فيه”

الآن لم أعد مصاباً بالهيافة وإنما أنا مجرد أب مخلص..

أملك بالمجلة في تعدل وكبرياء وليس حالي يتوار “كيف
يقرءون هذه الأشياء التافهة؟” ثم أعود لداري وأب موشك صبي
التحليق طرباً وأنشم غلاف المجلة لصقيل عطر الراححة. ما
أجملها ! يجب أن يعيدوا رائحة الأغلفة هذه في زجاجات

في البيت تنظر لي زوجتي في شك وهي مستعدة في أية
لحظة كي تتهمني بالهيافة لو كتشفت أنني أقرأ هذه المجلة،
لذا أضغط على أعصابي حتى المساء ثم أصع الصفح في فراشه وأقرأ له
القصص الوجودية فيها تبعاً صحيح أنه ينام بعد صفحتين بكفي
أب متفان أواصل قراءة المجلة له حتى آخر صفحة..

لا يقتصر الأمر كما نرى على قراءة مجلة ميكي مثلاً لم

يعد مما يليق بي أن ألعب مباراة كرة أمام البيت، لكنك تستطيع ذلك لو صرت أبًا حنوءًا يلاعب مع ابنه . سبي لا تسمح بدخول السيدها اسبوعياً لكنني أب طيب مصمم على تسليّة ابنة.

أما عن الحلوى والبطاطس المقلية وكل تلك الأشياء لذيذة المذاق الموضوعة في أكياس (تشخشخ)، والتي يصر الكبار على أنها سامة، لكنها لم تكن موجودة في طفولتي وقد صار تذوقها مراً حقيقياً فقط ابتدعها لابني ثم ألتهم منها الكثير لأتأكد من أنها لن تضر صحته..

أن أب متفان حقاً.. إن آباء كثيرين يحسدونني على سعة الصدر التي أملكها مع ابني..

كبر ابني ولم يعد يهتم بهذه الأشياء، وكلما اقترحت عليه أن يقرأ مجلة ميكي هز كتفيه في اشمزاز وقال: "أنا لم أعد طفلاً!"

هكذا وجدت أن الوعد تسبب في حرمان من قراءة المجلة لمدة عامين، خاصة وأمه تعرف جيداً أنه لا يحب القراءة أصلاً. دعك من أنه الطفل الوحيد الذي يهفت الحلوى والبطاطس المقلية

وكل تلك الأشياء لذيذة المذاق الموضوعة في أكياس (تشخشخ) نقد دمر حياتي ومستقبلي لذا وجدت أن الحر الوحيد هو أن أجد ثانية..

الآن تراني أبتاع مجلة ميكي معلباً أنني أبتاعها من أجل مريم ابنتي.. من ثم يدعوني عم (مأمون).. أبتاع حمولة كملة من البطاطس المقلية والحلوى، وأذهب لنسبتهما أسبوعياً وألعب لكرة حيثما أردت لأنني أفعل هذا لمريم!..

أمس قالت لي مريم إنها لا تحب مجلة ميكي وإبنة لا داعي لشراؤها احمرت عياني غيظاً وزمجوت ثم اتهمتني بالسب والسطحية والجهل. سوف تقرئين مجلة ميكي سوء أردت أو لم تريد.. لست مستعداً لأن أحب طفلاً كلما أردت قراءة هذه المجلة، وإلا لوجدت عيسى مث رمسيس الثاني الذي رزق به 99 ابناً.. لا بد أن رمسيس الثاني كان يعني بعصر (الهيكل) ويحب قراءة مجلة أطفال فرعونية تطبع على برديات.

هناك حل ثوري آخر هو أن أجد نفسي وكراً سرياً في أحد أركان المدينة القدرة، حيث أستطيع أن احتلي بدفسي وأمارس



هكذا قالوا

من جديد أعود إلى
تلك الرسائل الذكية التي
يصلني بعضها عبر البريد

الإلكتروني، ومعظم ما يأتي عن هذا الطريق كلام فارغ كما
تعرف . هناك مليون رسالة تعد بخرب بيتك لو لم تمررهم
لآخرين، ومليون رسالة من أرملة رعيم أفريقي تدعوك لمساعدتها
على صرف مبلغ مليار دولار من مصرف في جامايكا . لكنني
وجدت هذه الرسالة الذكية التي تحمل شكل تعليمات يوجهها
رجل غربي - قرر أن يكون رجلاً - لزوجته الغالية روجتي
تساءلت عن سبب اهتمامي برسالة كهذه فقلت لها : "أحب أن
أعرف عيوب المرأة العربية ولماذا فشلت في أن تكون رائعة مثل
سائنا الشرقيات" - فقلت روجتي هذا التفسير بكثير من لشد .
فلو رأت هذا المقال لكانت نهايتي إذن..

الهداية كما أريد، وهذا الوكر سوف أملؤه بمجلات ميكي وأكياس
البصطس حيث أكل وأقرأ إلى أن أفقد صوامي تمامًا.. لكنه حل
خطر لو مرفت به زوجتي.. ألا ترى هذا معي؟

لتعليمات التي يوجهها الروح لزوجته تقول:

1. التسوق ليس رياضة.. وليس هناك رجل على استعداد

لأن يتعامل معه كرياضة.. أبداً..

2. البكاء نوع من الابتزاز..

3. قللي ما تريد من مباشرة ولكن واصحري: التلميحات

الخفيفة لا تجدي التلميحات القوية لا تجدي التلميحات

لوضحة كالشمس لا تجدي.. قللي ما تريد ببساطة!

4. هاتي مشكلتك لما فقط لو كنت تريد حلها. هذا ما

نقدر على عمله.. لتعاطف مهمة صديقتك وليس مهمتنا!

5. الصداع الذي يدوم 17 شهراً مشكلة خطيرة فلتذهبي

لطببيب بدلاً من الشكوى..

6 أي شيء قبله مدد 6 أشهر غير مقبول استعماله في أية

مناقشة في الواقع أي تعليق يصير لاحقاً بعد سبعة أيام

7. لو كنت تعتقد أنك بدينة، فأنت كذلك على

الأرجح. لا تسأليني..

8. لو قلنا شيئاً يمكن تفسيره بطريقتين.. طريقة منهم

تجعلك غاضبة أو حزينة، فنحن كنا نقصد المعنى الآخر

9. يمكنك أن تطلبي من عمل شيء أو تحبريها بطريقة

عمله. لا يمكنك القيام بالأمرين معاً. لو كنت تعرفين بالفعل

أفضل طريقة لعمل الشيء فلتفعليه بنفسك..

10 كلما أمكنك ذلك. قللي ما تريد قوله أثناء الفقرة

الإعلانية بين برامج التلفزيون..

11. كل الرجال لا يرون إلا 16 لوك مثلب. يحدث في نظم

ومدور من نون كارت الشاشة لهذا. الخوخ فكهة وليس لوك..

والقرع العملي فكهة وليس لوكاً. نحن لا نعرف معنى كلمة

(موف) أو (سيمون)..

12 لو سألنا (ما هي المشكلة؟) فقلت (لا شيء) فسوف

نعصرف على أساس أنه لا توجد مشكلة. نعرف أنك تكديين لكن

الأمر لا يمتحق وجع الدماغ.

13 لو سألت سؤالاً لا تنتظري جوابه عنه، فلتنوقي

إجابة لا تريد أن سمعها.

14 عندما نلتوي الذهب لمكان ما فأي شيء تلبس فيه
مديسب.. فعلاً..

15. هناك ثياب كافية..

من أتوقف لأبدي انبهاري بذكاء الفقرة الثالثة كل
لنساء يعتبرنك عبقرى يجب أن تعهدن بإشارة أو كلمة هامة
أعترف أنني مصاب بعمى تلميحيات كمن. الفقرة الرابعة معقولة
كذلك.. هناك من تشكو لمجرد أن تشكو ومن دور أن تترك لك أي
حس.. الفقرة السادسة تثير ألم خاص في النفس عندما تقول لك
مرأة أنه في يوم كذا عام 1932 الساعة الرابعة مساءً قلت كذا
وكذا، فكيف طاوعت قلبك على ذلك؟.. بصعوبة تتمكن من إقناعها
أنك لا تذكر عبور البيت إلا بصعوبة الفقرة التاسعة رائعة
أرجو أن تصلح صنوبر لحمام ثم "لا تمك" المقصود بهذه الطريقة
ربما كن لأفضل لو فككته هكذا.. "أما عن الفقرة رقم 11 فهي
مشكلة لرجال جميع الذين لا يفهمون أن يكون هناك ثوب اسمه
(خلدوسكي) أو (الأنجاه)..

وينتهي الكاتب الفدائي رسالته لزوجته قديلاً:

— "شكراً على قراءة هذا.. أعرف أنني سأبدم على الأريكة
هذه الليلة بدلاً من لفرش، لكن لرجل لا يبالون بهذا،
يعتبرونه نوعاً من نوم المعسكرات.."

هذا رجل شجاع إذن. أما أنا فلا أملك شجاعته لهذا أنهي
هذا المقال بسرعة، وأتوسل لكم ألا تخبروا زوجتي أنني كتبته
قولوا لها أنني ترجمت كلاماً لم أقتنع به. قولوا لها به مقال
مديسوس علي.. قولوا أي شيء عدا الحقيقة!!

المصارفون



أفقت الصوت العالي بشكل لا

يوصف. ومن المؤسف أن محاطون بأشخاص لا يملكون أية موهبة إلا صوتهم العالي. في الحقيقة لا أعتبر لصوت العالي صفة عربية سائدة، فأن قد تعلمت مع كثير من الأصدقاء الخليجيين والسودانيين، وقد وجدت أكثرهم أميل إلى الهدوء والصوت الخفيض حتى في أشد حالات الانفعال، وهكذا كوست نظريتي الخاصة عن أن الصوت العالي يميز شعوب البحر المتوسط عامة المجد للصوت العالي والوهس لخفيض الصوت في حوض البحر المتوسط.

صباح اليوم أفقت من يومي في السادسة صباحاً على صوت رجل يصرخ في الشارع، فما أصغت اسمع فهمت أنه رجل يخبر صديقه بسر. وهو يكرر:

”هذا الكلام بيت يا فرج.. لا أحد يعرف هذا الذي

أقوله“

يبدو أنه يشك في سلوك زوجته، وكرامته تنأى أن يعرف مخلوق بهذا أي مخلوق خارج شارع طبعا لأن كل سكان الشارع صحو من نومهم ليتابعوا هذه القصة المثيرة..

حاولت أن أعود للنوم، لولا أن صحوت على صوت صلبة تحبر صديقتها وهما داهيتان إلى المدرسة بأنها تعين إلى صلاح ولا تشعر بالراحة مع حسن..

”لا تخبري أحدا بهذا يا ميمي وإلا جن جنون حسن“

أوشكت على النوم لبعض لحظات ثم صحوت على صوت رجل يخبر صديقه بتفاصيل سرية عن القضية التي سيرفعها على مستأجري العقار الذي يملكه:

”لو عرفوا بنواياي لاستعدوا لها. أرجو أن يظن هذا

الموضوع بيننا“

فقط يجب أن أخبرك أنني أقيم في الطابق الرابع. فيرحم

الله سكان الطابق الأول إنهم بالتأكيد ماتوا منذ أعوام

هناك كذلك من يحكي لصاحبه نكتته من إياها، وهو مصر على أن تسمع النكتة كن عذراء وكن طفلة وكل أم في المنطقة.. المشكلة أنه يخمس صوته عند دروة النكتة فلا تعرف أبداً لحظة التدوير. هذا يذكرني بالرجل الذي كان يعود لداره ليلاً فيخلع حذاءه الأيمن. يوم 1.. يهب الجيران مذعورين.. ثم يخلع حذاءه الأيسر. يوم 1.. كن ليلة حتى صعد له جاره وتهدده بالويل لو استمر يسرع حذاءه بهذا العنف. عاد الرجل لداره ليلاً فنزع حذاءه الأيمن. يوم 1.. ثم تذكر التهديد الذي تلقاه.. هكذا نزع الحذاء الأيسر بلطف ورقة. المشكلة أن الجيران في الطابق الأسفل ظلوا ساهرين ينتظرون صوت (يوم) الثاني بلا جدوى!.. هكذا صعد له جاره بهيصح فيه: "انزع الحذاء الأيسر أيها الوعد ليهام الأطفال!"

هناك كذلك هوة الصراخ في الهاتف، وهم كثير في مجتمع.. كن مصطفى أمين الصحفي الشهير لا يقدر على التركيز في كتابة مقاله، لأن دار أخبار اليوم كلها كانت تترج بصراخ أحد الموظفين وهو يتكلم في الهاتف. سأل مصطفى أمين عن

سبب هذا الصراخ فقيل له إن الموظف يكلم أسرته في دمنهور قال مصطفى أمين في عيظه "طيب ما يكلمهم بالتليفون يا أحي 11" هناك نوع آخر من البشر الذي يهوس له بشيء فيكرر ما قلته بصوت عال يوقظ الموتى. تدنو من ذلك الموظف الجاسوس وسط فتيات وتقول له بصوت خفيض:

"....."

فيصبح بصوت يظيرك في الهواء:

"ماذا؟.. تريد الذهاب لدورة المياه؟.. لماذا؟"

أو تهمس لصديقك وأنت تصع يدك على فمك:

"....."

فيصرخ:

"ماذا؟.. لا تطيق ذلك الرجل الذي يلبس السترة

الزرقاء؟.. هل ضايقت في شيء؟"

هناك نوع آخر من البشر يصرخ طيلة الوقت حتى يسبب

لك الحرج أذكر أنني كنت أكلم أحد عمال المستشفى وكان يشكو



عن الهاموش وحمامات السباحة

يوماً ما - عندما أجمع المادة العلمية الكافية - سوف أكتب دراسة علمية أكاديمية رصيدة عن العلاقة بين حفلات الرفاف حول حمامات السباحة وارتفاع معدلات الطلاق. لا أريد أن أكون غراب بين لكتني لا أتوقع انسجام الزوجين متى رايت أن الرفاف يُعقد حول حمام سباحة في دد. سوف يكون بحثك علمياً مهماً يبلغ عدد صفحاته نحو مائتي صفحة من لقطع المتوسط، وسوف تفرد له مجلة لانست العالمية عدداً كاملاً.

لكي حتى تأتي تلك اللحظة سأكتفي بسرد القصة التي جعلتني اتعبه لهذا.

رائية كانت فاتنة كليفت. أعتقد أن كل طالب في الكلية قد

صارخاً بي من أعرص تصيقه لدى إفراغ المثانة. احتقن وجهه واحمر وتطاير اللعاب من فمه وأن أحول تهدتته عندما قابلت زملائي بعد ذلك وجدتهم يسألونني في حذر:

- "لماذا كان ذلك العام يصرخ فيك؟.. ولماذا وقفت عاجزاً عن الرد أو اتخاذ إجراء صارم؟"

تحاول إقناعهم بأن الأمر يتعلق بحساس مبالغ فيه، فيهزون رءوسهم هزة العليم بكل شيء، ويقولون:

- "نعم.. نعم.. بالطبع!"

لا يمكن في هذا العالم بخصيضي الصوت، ولهذا أبحث جدياً من يمكنه إعطائي دورات لتعليم الصراخ. ربما كان التمثيل المسرحي مفيداً في هذا الصدد.. هل لديك اقتراحات؟

حلم بأن يعطيهم رهرة . أم لطلاب الأكثر وقاحة وثراء فكلموا
يحلمون بأن تعطيهم هي رهرة..

رائية كانت فتنة كليتما وكانت كذلك صديقتي . السبب
كما قالت هو أنني لإنس لمحرم لوحيد الذي لم يسبل عينيه
ويعلن أنه يهيم بها بهذه العبارة وصعت سداة من العليين على
فمي كائنني زجاجة زيت تموين، ولم بعد واردا بأي شكل أن أظهر
لها ما أخفيه.

في لسة السهائية تقدم لرائية عريس ثري أمصى معظم
حياته في الخارج، وقد قببت مروح منه لأسها بلطبع لم تقبل
بأي واحد من هؤلاء المتشردين رملائه في الكلية. ودعنتني مع
مجموعة من الأصدقاء فتيات وفتيان إلى الزفاف..

ذهبنا في الموعد المقرر إلى اسدي لحد مشهدا من ألف ليلة
وليلة حمام لسباحة يسبح في الأضواء الملونة، على حين تطفو
فوق الماء بلوبت وورود. وهناك فتيات صغيرات كالغراشات
يتوثبن هن وهناك بينما الفرقة تعرف لحنًا راقيا.

لمشكلة لوحيدة هي الهاموش، والهاموش هو تلك

الحشرة الدهيعة المرعجه التي تطير حوك وتلدغ أهلك فتعطس، أو
تلدغ عييك فتدمع، أو تلدغ جلدك فتهرش. لابد من الكثير من
الهاموش مع مياه الحمام والإضاءة الليلية

كان العريس كما توقعته.. هو يفوقه سنًا بعشر سنوات
على الأقل، ووعد متشكك تعلم أن كل الدس أوعده مثله لابد من
التعامل معهم بحذر. وعندما رأته مجلس قرب الكوشة راح ينظر
لها في كراهية.. زملاء زوجته في الكلية اسدين يماثلونها عمرا
هؤلاء الأوغاد.. ليس منهم واحد بالطبع إلا وقد حلم بأنه تروجه
هو أو ربما حلم بما هو أسوأ..

راح ينظر له في مقت شديد ولسن حاله يقول: انتهت
اللعبة يا أندال.. هذه الحسناء لي أب وحدي وعليكم أن تسودوا
لبيوكم لتعبثوا في أنوفكم وتغاموا مبكرًا..

أخيرًا جاء وقت لاصرف، وهكذا مشيد في صف لنصافح
الزوجين مهنيين.. العريس يصافح كل واحد من بيما رائية
تقدمه له.. هذا ماجد وهو صديق مخلص.. تشرفت ب سيد ماجد..
وهذا عصام وهو صديق نبيل.. تشرفت يا سيد عصام..

العريس يحقن ووجهه يحمر ويحمر. كل هؤلاء
يحبونها؟..

أخيرًا قُرب دوري فصمت سترتي وتوجهت لأصافحه.
هذه حترقت عيني تلك المدعة من هموشة وقحة متحمسة.

أخرجت المذيل ومسحت عيني، لكنها ظلت تدمع بلا
انقطاع وأدركت أنها بالتأكيد حمراء كلطماطم. على هذه الصورة
دنوت لأصافح العريس. عيون حمراء ودموع تسيل بلا انقطاع
ومنديين في يدي. دعك من تلك الرعشة المعصية التي أصابت
راوية فمي من الألم..

— أحمد.. صديق نادر.. —

مددت يدي لأصافح الرجل وأن انشق بألمني لأمنع المخط من
أن يسيل. رأيت يصفحني قد ازدحمت الشكوك على وجهه حتى
لم يبق موضع لقدم صديق زوجته قبر الرواح يأتي ليهنئها في
حفل الزفاف دامع العينين منقرع الجفنين.. ما معنى هذا؟

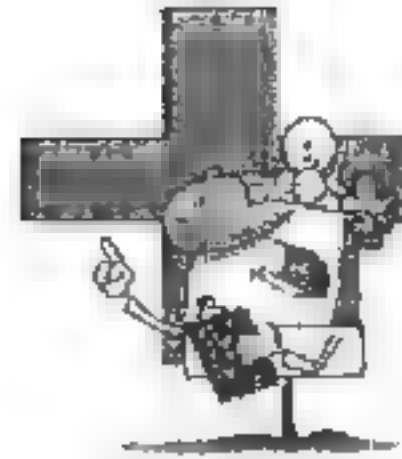
لا بد أنه تذكر (ورد) زوج ليلى العامرية الذي لم يجد حلاً
لحُب زوجته نقيس سوى أن يقول للأخير: "أنت حبيب القلب

والزوج أما "، ولا بد أنه توقع أن اصعد إلى المسرح لأعطي
"حبيبها لست وحدك.. حبيبها أن قبلك. وربما جئت بعدك
وربما كنت مثلك!"

هكذا ظل ير قبني في شك مجنون ووجهه أحمر كلطماطم
المغناطة، وظلت عيناها تتبعني حتى وأنا أبتعد. عسى باب
العادي نظرت فوجدته ما زال ينظر لي..

حسن.. أنت تعرف ما حدث بعد شهرين.. لقد طُلق
رانية. لست مغرور فأرغم أنني كنت لسبب الوحيد بكوني لا
تكرر أنني كنت ما يمكن تسميته (مسموم) بعش علاقة
الزوجية)..
هل السبب أنه مجنون؟ أم السبب هي تلك الهموشة
اللعينة؟ أم السبب هو حمام السباحة؟ لم أكون رأياً عاماً بعد.
لكنني أعدك بتقديم هذا الرأي ضمن دراسة أكاديمية المعقدة
التي أنتوى كتابتها يوماً ما عن علاقة حمامات لسباحة بالطلاق.

ألغاز طبية



قبل أن ألتحق بكلية

لطب كان هناك لغز يؤرقني في

الأفلام العربية التي أرها. فما برت تشعر المرأة بالآلام الولادة حتى
تقول إحدى السيدات العجائز لصاحبتها أو يقول الطبيب

ـ "قومي بتسخين الماء"

فتهرع المرأة إلى المطبخ لتعني بدء كبيراً تحمله في حذر إلى
غرفة الولادة وهما يعلق الباب في وجهها فلا يعرف ما حدث بعد
ذلك..

كان عدي من الشجاعة الأدبية ما سمح لي بأن أسأل أمي
عن استخدام الماء الساخن في الولادة، فقلت في غموض:

ـ "هذه أمور نسائية لا تسأل عنها.."

ثم كهوت نوحاً فوجدت كتاباً كتبه طبيب أمريكي يمحط

العلوم الطبية للقارئ، وسم الكتاب هو (حتى يحضر الطبيب).
يقول المؤلف في باب الولادة: "لا داعي لعادة تسخين الماء لأن هذا
قد يسبب حروقاً خطيرة لك أو الأم أو الجنين"

هذا ما قاله ولم يشرح استخدام هذا الماء.. أقصد الاستخدام
الخطأ الذي ينبغي أن نتوقف عنه. إن الأمريكيين يسخنون الماء
كذلك وتسبب مجهول.

دخلت كلية الطب إذن، وانتظرت في صبر حتى درسنا
الولادة.. كل شيء عن الولادة والأغشية التي تنفجر ودور الرأس
و.. و.. كل شيء.. وقد قمت بتوليد نساء كثيرات في بداية حياتي
قبل أن أتحصص في الأمراض الباطنية لم يحدث قط أن احتجت
للماء الساخن، ولم أر أي شخص يحتاج للماء الساخن أمي.

لكنني فطنت بعد أن ابتعدت عن صرخات غرفة التوليد
بعشر سنوات أسي لم ألق إجابة قط.. لم أعرف ما يفعلونه
بالماء الساخن في الأفلام.

هكذا انتحيت بأحد كبار أطباء التوليد جدياً وسألته عن
سر الماء الساخن، فاستعيت عيانه في دهول وظن ينظر لي عاجزاً عن

الكلام بضع ثوان ثم قال:

"حقاً لا تعرف؟" إنسان مثقف مثلك، أو هذا ما كنت أحسبه؟ أنت تهرج صيف لا يوجد تفسير عسدي سوى أنك تهرج."

هنا انفجرت ضحكاً وقلت له إنني كنت أمزح فعلاً. عليه ألا يكون سادجاً بهذا لحد. هناك مشكلة مرمية عسدي هي أنني لا أبدو كمن يهرج عندما أمزح. قال لي بلهجة جدية:

"أنصحك ألا تسأل أسئلة بلهاء كهذه والا فظنوا بعقلك الظنون!"

هكذا قضي الأمر وصار علي أن أبقى جاهلاً للأبد ما دمت لا أمك شجاعة أن أبدو جاهلاً لنصف دقيقة، وعلى كل حال قد كونت نظريتي الخاصة عن موضوع غالباً يستعمل الماء الساخن لقتل الوليد إذا كان قبيحاً، أو هم يحرقون الأم به كي لا تشعر بألم الولادة، وربما هم يفعلون هذا لاستفزازي فقط. أي أنهم يسخنون الماء في كل انولات كي أجن أنا.

مشكلة أخرى حيرتني في كلية الطب هي (برد المعدة) ..

هناك ذلك الرجل الذي يشعر بتوعك وعثيث فيقول له الطبيب إنه مصاب ببرد في المعدة درست لجهر الهضمي والحميات ولم أقرأ قط تعبير (برد في المعدة) هذا ولماذا يفضل البرد لمعدة على أعضاء أخرى؟.. هذه ألغاز كويبة لا إجابة عنها وبالطبع كان رد أي طبيب سألقه هو

"ها.. ها.. أنت تمزح طبعاً.."

هكذا خربت تماماً.. وهأنذا أقترّب من نهاية حياتي دون أن أعرف معنى برد في المعدة هذا.. من لو صبح أنني فشلت.. أقولها حزناً كاسف البال..

كل هذا محتمل، لكن ما معنى (كسل في الكبد)؟.. هناك تليف كبد فشل كبدي حاد ومرمن التهاب كبدي.. دهون كبدية الخ. لكن ما معنى (كبد كسول)؟.. هل تتحسس حالته ببعض التدليك أو التدفئة؟ هل يفيد شرب المنبهات كالكافيين والقهوة؟

بالطبع لا أعرف.. دكتوراه في أمراض الكبد ولم أعرف بعد.. والأدهى أن كل الناس يعرفون ما عداي..

لييب يعرف كل شيء



ليس الموت من الأمور التي

يمكن أن تجد فيها دعاية م، ولو وجدت فأنت على الأرجح عبثي من عينة مارك توين وأوسكر ويد أو أنت مجنون. لكن ما يثير الضحك فعلاً هو التصرفات السخيفة للناس في تلك المواقف.

في إحدى مقالات أحمد رجب الساخرة حكى عن ذلك الرجل الذي جلس جواره في سراق عراء، ورج يحكي له قصة تخريبية لا أول لها ولا آخر عن علاقته بالملك فؤاد ملك مصر الأسبق، وكيف أن الملكة كانت تحب الرجل روي القصة بشدة. لهذا فتح بابها مرة ليجد الملك فؤاد واقفاً حافي القدمين، وهو يحمل رعيين وعطفاً به طعمية وحرمة فحس، ويقول له: "جئت أكل معك عيشاً وملحاً حتى لا تخونني!".

ماد ؟ - هذه زوجتي بطلب مني أن آتي معها فوراً لأن أختها قد داهمتها الأم المحاصر. سهرع إلى بيت أختها لندرك أن الوقت لن يتسع بقلها إلى استشفى يبدو أنها ستصع وليدها على الفراش، هنا أشمر ذراعي وأقول لزوجتي في حزم:

"قومي بتسخين بعض الماء!"

تنظر لي في حيرة ثم تقول:

"والسبب؟"

فاضرب كفاً بكف وأقول في صهيبة:

"لا تسالي حتى لا يظن أحدهم بعقبك الظنون امرأة في هذه السر ولا تعرف أهمية الماء لساحن في الولادة؟.. هيا لا تنظري لي بهذه الطريقة كأسك مصبة بكسر في الكبد ويرد في المعدة قومي بتسخين الماء وريث أشرح لك ما استعلق عليك من أسرار فيما بعد"

بعد هذا الحد من القصة انتهت قدرة أحمد رجب على التحمل ونجح صاحبك في سرادق العزاء النوقور، ليطرد شر طردة. هذه لقصة حكاها أحمد رجب وانتهى الأمر، لكنها ظلت كالهاجس يطردني في كل عزاء أحضره. إنه وسواس قهري رهيب يجعلني أتحيل الملك فؤاد حافي وهو يحمل قرطاساً مليئاً بالطعمية.. هكذا أضغط على أسناني وأبتلع ريقى عاتق أسى في انخيفة أنقذ حياتي بنفسه.. لو ضحكت بصوت عال لانتهى أمري.

ليس هذا فقط ما يضحكني. هناك اللحظات الأولى بعد الوفاة عندما يتصايح الناس.. لا تعملوا شيئاً. إن (بيب) قادم (بيب) هذا قد يكون مسلماً أو مسيحياً.. المهم أنه رجل في الخمسين، وهو من الطرز الذي يعرف ما ينبغي عمله. دعك من أنه يستمتع بهذه الأمور بشكل واضح. سرعان ما يصل وقد بدا عليه الحزم وقلب شمتة السفلى في قفوف نساء حاله يقول: انتهى لأراح.. لقد جاء الخير.

يجلس في مكان الصدارة ويصدر تعليماته في حزم:

.. لا تريد تخبطاً.. سوف يتم القفل هذا، وبعد هذا نلقى الجثمان إلى مسجد (لسرجاني) حيث تتم الصلاة عليه. صه! لا أريد معارضة وتخبط رأي.. لعراء سيكون في قاعة المداسين بعد صلاة العشاء.. شى شى!.. أعطوني ورقة وقلماً!"

هكذا يصدر الأمر وعيناه لظنقار الشرر، هكذا يهرع الجالسون مرتجفين ليحصروا له ما طلب. يمسك بالقلم ويبدأ الكتابة في فخر:

.. بقلوب يملؤها الأسى نعي فقيد عائلة (الشماشرجي) المهندس (الشماشرجي عبده الشماشرجي) المدير السابق لشركة الشماشرجي ووالد كل من.. ونسيب أسرة وأسرة.. الخ.."

ويملاً العمى في كهربي وفخر. أسعد لحظة في حياته هي اللحظة التي يموت فيها شخص يعرفه ليسعد باستعراض كس الأسماء المهمة التي تضمها أسرته.. يوشك أن يبكي تأثراً عندما يكتب: "ونسيب اللواء محمد الشماشرجي نهار أمر الدولة، والعميد محمد الشماشرجي برئاسة الجمهورية.. و.."

يسمع صوت بكاء من ابن الفقيد فلتسمع عينه وينظر له

”شريف!.. تمسك ولا..“

ثم يوصل اسحظت لمتعة حتى يوشك على التأوه من حرط
لشوة وهو يكتب أسماء كل السادة الذين تضمهم القائمة، ثم
يدول لورقة لأحدهم وبأمره في حرم أن يحملها إلى الصحف.

”لو قلوا إنه لا مكان لهذا النعي في صحف الغد، فلتقل
لهم إن العميد محمد الشماشجي برئاسة الجمهورية يأمرهم
بإفساح مكان له.. هه؟ أما إن فعل كل شيء بنفسه. أنتم مجرد
أطفال لا تستطيعون عمل شيء.. أخرس يا شريف!..“

ثم تشيع الجبزة التي يتقدمها لبيب وهو يضع نظارة
سوداء وقد رسم التأثير على وجهه، لكنه لا ينسى توبيخ حملة
السعش.. يعيرون الجثة في القبر، ويقف ابن العقيد وهو متماسك
راض بقضاء الله رغب في قراءة بعض آيات القرآن على قبر أبيه،
هب تحدث الظاهرة التي لا أفهمها وهي أن كل واحد من الوقفن
يشحط في لفتى ويجروبه جراً بعيداً عن القبر يدعوى حمايته من
الانهيار لعمى يصمم به العظيم أنه متماسك وأنه يريد أن يترك

وشأنه لحظة، لكن (لبيب) لا يرحمه. رأيت أبناء متوهين يتنقون
علقة ساخنة على قبور آبائهم.. الكل يجرحهم.. الكل يدفعهم.
الكل يلطمهم في أكتافهم مع ترديد: يا الله.. يا الله! هيب!..
انتهينا..

وسرعان ما يجد ابن الفقيد نفسه خارج امداف كلها مبشر
الثياب معبراً، ولربما نرف الدم من أنفه من كثرة ما تلقى من
لكمات.. ثم يظهر الأخ لبيب من مكان ما يشحط فيه وهو يرمقه
بنظرة نارية:

”لعب العيال هذا!.. ألا تتماسك وتكون رجلاً؟“

نعم.. لا أستطيع في أحيان كثيرة أن أشهد طقوس الدفن
والعراء من دون أن أصغط على أسدي بقوة كي لا أضحك.. لو
ضحكت لكانت نهايتي خاصة لو كان الأخ (لبيب) قريب

صينية الآلام



هناك أشياء معدودة

أفقتها بجنون: منها انقسوة

ولتعصب والعقر المذل .. صينية البطاطس..

بسبب ما لا أشعر أبدًا بأنها نوع محترم من الخضروات،
ولا أشعر بذلك الامتزج المقدس بين البطاطم والبصل والبطاطس
لصنع شيء واحد، إنما هي قطع من خضروات متافرة.

بالطبع ليس ما يروق لي وما لا يروق لي موضوعًا مناسبًا يقال
حتى إن كان محببًا لي شخصيًا، لكنني أحاول أن ألقى الضوء على
حياة لعراب لتي تلعب فيها صينية البطاطس دورًا لا بأس به.

يعود لأعرب من عمله منكم عرقًا في العرق، فينزع
ثيابه بسرعة، ويهرع بثيابه الداخلية إلى المطبخ ليقطع بعض
حبث البطاطس وبعض شرث البطاطم ولبصل في صيدية، ثم
يمرق لدجاجة التي ابتدعها أمس في أربعة أشلاء يدفعها تحت

الحليط ويرح بالصيدية في الفرن خلال دقائق، ثم يتفرغ لارتداء
ثياب الديت والوضوء والصلاة إذا كان من المصلين، أو العبث
بأصابع قدميه إذا لم يكن منهم، ثم ينتقل إلى لجرء الثاني من
برنامج عمله؛ وهو وضع ثيابه بما في جيوبها من أوراق ونفود في
الغسالة وتركها تدور إلى الأبد..

بهذا يمكنه أن يخبر أنه يجيد الطهي ويجيد الغسيل
معًا..

فما أن ينتهي حتى يكون الغداء قد نضج بدوره فيجلس
وحيدًا أمام التلفزيون يلتهم طعامه

في فترة من حياتي كنت أعزب أميش وحدي، وقد جربت
الطهي مرة أو مرتين، فكننت أشتم الطعم بعد أن ينضج، ومن
نون تردد أحمل الإباء لأسكبه في سلة المهملات ثم أنزل قصداً
أقرب مطعم لي..

أدمنت أكل المطاعم، وكنيت أجعل الطعم يحصر لي طعامي
أحيانًا، فأنعم بالجلوس أمام التلفزيون وأب أفنح لكيس لتسبعث
رائحة الدجاج المشوى الشهية ورنحة لأرر الأشهى لحظات

نورية أنقظها طيبة ليوم في صبر ثم يأتي اليوم اليوم الطويل
لجميع بعد الأكل والذي يمكن بسهولة أن يتحول إلى موت لولا
إرادة الحياة لدي.. إرادة الحياة وموعد الدوام الليلي طبعاً .

هكذا كنت راصياً بحياتي سعيداً إلى أن اكتشف العزاب
لدين يعملون معي في ذات المكان إنني آكل وحدي..

"هذه لن يكون.. عيباً"

كنت لهم إسمي سعيد بحالي، لكنهم صمموا على أنني
معذب تعذب ويجب أن أترك لهم نفسي..

كنت لهم إننا جميعاً في الهواء سواء . ليس بيننا من يسعم
بطهي زوجته فلم لا يتركونني وشأني؟.. لا وحياتك..

هكذا وجدت نفسي مدعواً يومياً تقريباً إلى دار واحد منهم
يقسم أعلظ الإيماء أنه لن يتركني أحدهم حلف على امرأته
بالطلاق لئلا يرغم أنه لم يتروح بعد، لكنني بالطبع ذهبت لأنني
أخشى خراب البيوت..

هكذا أجلس مع هؤلاء الكرماء بتبادل المكات وسباب
الناس ويشتم من ليس بييد، إلى أن يظهر صاحب الدعوة حاملاً

الكز الذي سيحميني من الموت جوعاً.. صينية البطاطس..

"إنها سهلة جديدة كما تعلم!"

أكظم عيظي وأكر.. طبعاً لا ينتهي الأمر هب فلابد من
جلسة تطول بعد الغداء.. عيبي مثقت ورعبة ملححة للنوم
تقتلني لكنني أتماسك، وفي النهاية يطفون سراجي فأعود لدري
لأكتشف أن موعد الدوام الليلي بعد نصف ساعة وأنا بم أم

في اليوم التالي يظهر صديق أعزب آخر إن شاء الله أنت
ضيمي اليوم أحاول التماسك لكن وجهه يحمر ويتصعد لبحر
من مخبريه أما أنت أقل من فلان وأنت قبلت دعوة فلان أمس..
هذه إهانة..

هكذا أجد نفسي جالط مع شلة العراب نتبادل المكات
ومعتاب الناس ويشتم من ليس بييد، إلى أن يص صاحب لدار
حاملاً مفاجاته الساخنة.. صينية البطاطس طبعاً!

"إنها سهلة جديدة كما تعلم!"

ويتكرر كل شيء.. صرت أكره صينية البطاطس.. أذهب في
كواليسي . أتخيل نفسي دجاجة مفرقة وسط البطاطس نوصع في

فرد صر لأكر في المععم حلمًا أتمنى أن أعيشه مرة واحدة قبل الموت..

هكذا استمر الحال إلى أن جاء الفرج على يد واحد من زملائنا . هو رجل متزوج طريف أصر على أن يدعونا نحن العزاب لداره..

- أنتم تبذون كالأشباح لابد من أكلة محترمة دسمة من يد زوجتي تميدكم لعالم البشر"

قال لي رفيقي وهم يغمزون إن دعوة هذا الرميل لا تُرفض لأنه مشهور بالكرم سوف يأكل أكلاً يغنيك عن صينية البطاطس عدة أيام...

تغائلت خيراً وذهبت للدعوة.. طيف لا داعي لأن أحبرك أن روجته اختارت لنا صينية لبطاطس في ذلك اليوم بالذات، فهي وجبة سهلة لذيدة كما تعلم!

بعد الغداء جلس جوارى وهمس لي أنه يثق بي كثيراً ويراني ربيباً مهنذباً به يرشح لي أحت روجته عروفاً لنخرجني من حيلة العزاب الكريهة هذه. لكن هل صدي

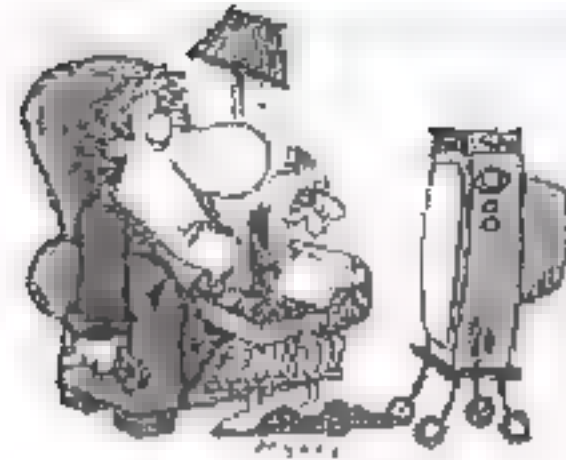
مواصفات معينة أتمناها في شريكة حياتي؟

قلت في بساطة:

- "لا مواصفات على الإطلاق.. فقط أريد زوجة صالحة

ترعى بيتها و.. لا تجيد عمل صينية البطاطس!"

فيديو كليب يا باشا



لأسباب تتعلق بالشعر الأبيض والضمير وادعاء الوقار
والواجب التربوي وكراهية الابتدال والاشمئزاز من ريادة الأمور
من حده ولشعور بالتميز. لأسباب تتعلق بهذا كله لست من
هواة مشاهدة قنوات الفيديو كليب التي انتشرت كالوباء في كل
مكان. لحسن لحظ ما رأيت أطفالاً صغيري السن جداً إلى الحد الذي
يجعل الطفلة تؤمن أن بوكهاتس أجمل بكثير من كاظم الساهر،
والطفل يؤمن بأن منظر رجل يهرقه (دن ديزل) بالطلقات أجمل
بمراحل من هيفاء وهبي..

لكن الوضع سوف يتغير.. هذا مجرد تأجيل للمعركة
وليس إلغاء لها.

فقط يمكن أن نرى لمحة عابرة من هذه البرامج أثناء رحلة
(الريموت) التي تقصد مرفأً لأمن في (سبيس نور) هكذا
استقطعت أن أكون فكرة عابرة عم يحدث هناك، وتذكرت
كارينكاتورا عبقرياً للعسا (شريف عرفة) يرى فيه ضبطاً في
شرطة الآداب يقبض على رجل و امرأة عاريين تحت لأعصية،
فيقول له الرجل في رعب "ليس بيت دعرة والله لعظيم يا باشا".
نحن فقط نحور الفيديو الكليب الجديداً". ليس هذا الكاريكاتور
مبالغاً جداً بل هو أقرب لما أراه من لمحات..

أفضل دوماً تمضية الوقت الإجباري بانتظار شيء ما جالساً
في كافيتريا، وهناك تكتشف وسط انشعب الجاسين أنك لو طلبت
روية قناة الجزيرة مثلاً لمقوق إرب هكذا تجد نفسك مضطراً
لشاهدة هذه الكليبات. في البداية كان أسوأ شيء عرفته أو سمعت
عنه هو تلك المطربة السمرء الشابة التي تركض بثوب اسرقص في
الطريق العام ليكن.. من حقها أن رجس قليلاً بعدها رأيتها
تقلوى على سراجة ثابتة ولكمبر موضوعة في زاوية غريبة
جديدة بمخرج طينمي مش (جر لوك جودر) أو (نيلوش) من

اعريب أني سمعت هذه لأعنية من المدياع قبل أن أراها وبدت لي خفيفة الدم مرحة، وصوت الغتة يعبر فعلاً عن المراهقة المصرية الحلة، ثم رأيت الأغنية فقطت "أعود بالله ليس لهذه الأعنية أية علاقة بأي شيء سوى حنات المرافضة في جرر الأنتيل". وكلفت عن دودة لأعنية لأنني خشيت أن يظنوا بي الثنون.. لخلاصة أن اكليب أساء للمطربة وأحس للأنتي.

كلم فلننت أنت بدفنا انقمة في الابتغال ظهرت قمة أخرى حتى أنت لنحني رأسك انبهراً بميلقية هؤلاء القوم المطربة التي تغني لحصار وهي ما عليل.. هناك مطربة تغني وهي تتلوى في الفراش مع حبيبها.. هناك وهناك...

ليس هذا كل شيء.. هناك جو عام من الافتعال والسخف واستساع التجارب الغربية لا أذكر كم فيديو كليب رأيت فيه قتلة من رجال المافيا يحمسون بندقهم (التومي) في علب كمان ويمشون بأحديتهم لبيض وقبعاتهم قاصدين منهي لينياً ليقتلوا من فيه كل بكليات فيهم سيارات فخرة فرة متسابق كانه لا يوجد عربي واحد يمشي على قدميه أو يركب سيارة عتيقة..

بيوت عملاقة وتدريب في قاعة جمنزيوم وأشياء غريبة جداً..

في أسفل الشاشة ترى المهرز الاقتصادي الوحيد لصنع هذا الهراء: شريط رسائل الجوال الذي يروح كتعبس طويس تحت الشاشة، وترى رسائل من بوعينة "مسه لله ايريري للي كهرك علينا". اليريري لم لا يعرف هو غداء رُضع شهير جداً في مصر ومن الواضح أنه جعل لغتة تكبير بسرعة فصارت لا تبالي بحبيبها! "حزينة موت من اسكندرية . ممكن أكلّم الأخ حساس قوي؟" يصعب تحييل أن الأخت (حزينة موت) والأخ (حساس قوي) جالسا أمام الشاشة يكتب هذا الكلام الفارغ، وبرغم هذا واحد منهما حزين والآخر حساس.

شلال من الدراهم والجنهيات والريالات والدولارات يهمر على صاحب لقاة حتى به ليوشك على الاختناق من فرط المال المتساقط عليه..

بالطبع لا يمكن أن تجذب كل هؤلاء من دون دراجة ثابتة وحصان ومن المسحين كذلك أن تتذكر إن كانت الأعنية لها كلمات أم لا.. لها لحن أم لا.. فقط أنت تتذكر أنه كان فيها

”أسالك يا أستاذ..“

أجهر وأبظر في رصع للسدل الذي أحصر القهوة ووقف
جواني ربع ساعة يمتطر أن أفيق ليسألني إن كنت أريد
(نرجيلة) أم لا.. ابتسامة ساخرة حبيثة جدًا على شفتيه وأقول
في ارتباك:

”أحاول فقط أن أعرف الخطر الذي.. لا عليك..“

لا أريد نارجيله“

ربما ليس الأمر بهذا، السوء على كس حال، وأنا لا أكرر
بنتي بدأت أشعر باشمئزاز من كس هذا، الابتدال لكرامة المرأة.
ربما تكون الفلسفة الهندية لقديمة صالحة هنا، وهي أن
الاستعراق في الآثم قد يؤدي إلى لتظهر ولقرف الأبدى منها
لكن إلى أن يدجح هذا مع أولادي فإن علي أن أراجع فصل (تشعير
القنوت) في كتيب تعليمات جهاز الديش..

حبة بازلاء



عندما قال لي صاحبي إنه سيخرج،

تذكرت القصة القديمة العبقريّة لـ (هانس

كرستيان أندرسن) عن الأمير الذي يبحث عن أميرة حقيقية
ليتزوجها.. هنا ظهرت — في ظروف معقدة ما — أميرة صلت
الطريق وطلعت البيات في قصره. لا يأخذك الخيال بعيدًا لأن هذه
قصة أطلع كل ما حدث هو أن الملكة لأم قررت عقد اختبار
صغير لهذه الأميرة لمعرفة إن كانت أميرة حقًا. وصغت حبة
بازلاء على حشية فرش ثم وصغت فوقها أربع حشايا كاملة،
وطلبت من الأميرة قصه الليل في هذا الفرش. في الصباح بدت
الأميرة مرهقة لأن شيئا صلبًا في الفراش ظل يؤلم ظهرها طيلة
الليل! عفا همت الملكة في حماس ”تزوجي يا بنتي فهي أميرة
حقيقية! فقط الأميرة سلبية اللون هي التي يمكن أن تسعد
بحبة بازلاء تحت أربع حشايا.“

لقد رأيت الفتاة التي راقت لصاحبي، وبدت جميلة رقيقة
كنني شعرت نوعاً ما من النصب وادعاء الرقي في سلوكها. إنها لا
تظهر ما تبطن تعاماً. إن للتصنع حدوداً ولا بد من علامة لها أو
هنا تكشف لك حقيقتها..

هذه مصيحة يسدونها بلر عيين في لزواج وأجدها حكيمة
جداً. أمط الفتاة قطعة من اللادن ودعها تمصعها.. راقبها بحذر.
سوف تلمسك الفتاة بضع دقائق وتمضغ برقة، ثم تبدأ الفصائح..
سوف تبدأ الانفجرات. طراك. ا. كراك. طراق!.. وتلوي فمها
في ميوعة ويتساقط المعاب من شفثيها العليظتين.. باختصار سوف
تنسى كل الأقنعة الاجتماعية التي وصفتها إن اللادن له قوة
كاسحة ولا تستطيع أية امرأة أن تقومه ما لم تكن أميرة حقاً.

طريقة الأكر كذلك لا تفش: هناك مطربة مصرية
اشتهرت بالرق، وكان أحد الشعراء يهيم بها حباً.. يهيم بها
حتى رآها مصدوفة في القنطرة الخيرية في شم السيم.. رآها تلتهم
المسيح في جشع وتلعق أصابعها. ثم تهشم البصل وتردده كأنها
أحد المعلمين في وكالة البليح. وتقذف في جوفها بأربعة أو خمسة

أرغفة. سقطت تعاماً من نظره وشفي من عشقه المجنون والحمد
لله.

ذات مرة كنت أتصل بشركة طيران أؤكد حجز رحلتي،
فردت علي فتاة تمكلم بأرستقراطية وخفافه من طرف أنفها.
تقول لي:

ـ بال تأكيد يا فندم لا لروم للكونفيرميشن لأن البوكنج
موجود هنا. العاشر معك ويمكنك أن تقوم بعمل كسليج في أية
لحظة.. بليز نو.. هانج أون.. "

كانت تجد صعوبة بالغة في العثور على أية كلمة عربية
مناسبة..

وبدأت تمليني رقم الرحلة، وفجأة حدث خلل في
الكمبيوتر عندها، فراححت تضرب لماتيك في عصبية. ثم دوى
صوتها الغليظ الحلقى كأنها تتشاجر في سوق الخضار:

ـ يا دي المخماط!

للحظة خيل لي أنها ستعمن لعظة ألمية أو هولندية لا
أعرفها، ثم قضت أنها تنكلم بالعربية انعامية جداً جداً.

أنا لست من طبقة مرفهة أو ثرية ، وقد تعاملت بحكم عملي مع طبقات فقيرة جداً في أسهل السلم الاجتماعي ، لكن دعني أؤكد لك أنني لم أسمع (يا دي السخماط) هذه من أي شخص قبل هذه اللحظة! ! طبعاً يمكن استنتاج أنها تقول (يا للكارثة!) بطريقة الراقية الخاصة..

في اللحظة التالية ثابت إلى ردها فعمدت تقول:

- "سوري يا فدم. الشاشة فروز حلياً.. نو أنك كولد باك خلال ساعة فلربما.. احم.. شكراً لاتصالك"

وضعت السماعة وأما أموت ضحكاً ، وقررت أنني لن أتزوج هذه الفتاة بالذات لو قررت أن أتزوج..

صرخت صديقتي بهواجسي هذه ، فقال لي في غيظ:

- "وماذا أفعل؟"

قلت له في وقار:

- "إما أن تفتح فتاتك بالنوم على حبة بارلاء تحت أربع

حشايا ، وإما أن تعصبيها قطعة لاس أو تراقب رد فعلها لو حدث خلل في الكمبيوتر.."

لم يجد له أي حل مقنعاً.. حتى فكرة ابلادن ستبدو غريبه جداً عندما يعطيها يده ويراقبها في حذر كأنه يعلم فرس لسهر في حديقة الحيوان..

وجاء الفرج عندما تذكرنا أن شم النسيم على الأيووب ، اقترحت عليه أن يدعو حبيبته لأكنة مسيح في لفسطر الخيرية سألي في بلاهة عما إذا كنت طريقتها في أكل المسيح سوف تفضحها ، فقلت له في غيظ:

- "أنت لم تتعلم شيئاً. لو قبلت أكل المسيح أصلاً فهي تمت لعالم الوحوش ولا تصلح لك يا صاحبي.."

وحتى هذه اللحظة لا أعرف ما توصل له ، لكنني أرجح أنه سيخدع نفسه وسوف يتزوجها في جميع الأحوال ، حتى لو كانت تلتهم طناً من المسيح مع عشرة أرعة من الخبز ، وحتى لو قالت له بعد الأكل "يا دي اسخماط!" لأب لا يرى سوى ما يريد أن يره

وقائع اغتفائي الغامض!



بعد أسبوعين من الذهاب إلى

لمدرسة في لصف لأول الابتدائي، قررت أنه لم يعد في قوس
الصبر منزع وأن ليس قد بلغ لربي وأي تعبير آخر يروق لك.
لقد كرهت المدرسة كالجحيم وصممت على أن هذه نهاية قصتي مع
التعليم. لكن ماذا أفعل بالضبط؟

كنت أذهب إلى المدرسة صباحًا ، فكنت أنادي ابن البواب
لصعيدي (سبعيني)، وهو شاب نشيط في الثامنة عشرة من عمره،
يبرز لي من داخل الغرفة ويفت انزعاجه حول عنقه ثم يمسك
بيدي قاصدًا لمدرسة وهو يلهث من البرد، والبخار الأبيض
يتصاعد من فمه ، ثم يتركني عند الباب مع توصية بالآلا أفعل كذا
أو كذا... وهكذا يبدأ يوم الجحيم حتى الظهيرة..

في ذلك اليوم قررت أن المدرسة انتهت بالمسبة لي. كان
الوقت مبكرًا تمامًا وفساء مدرسة الإصلاح الابتدائية المبتس من
أمطار الباردة شبه حال من التلاميذ. لا أعرف كيف ولا لماذا
قررت أن الوقت قد حان..

بخطوات آلية توجهت إلى بداية الإدارة ومشيت حتى
غرفة مديرة المدرسة نظرت من الباب فوجدت لعرفة الراهبة
خالية تمامًا. إضاءة خافتة أقرب للظلمة ورائحة عطرية خفيفة في
الجو..

في هدوء اتجهت إلى أكبر مقعد في الأنتريه الوثير الموجود
في ركن الحجرة، وزحمت على ركبتي حتى صرت خلفه ثم
تكومت على نفسي في وضع القرفصاء وأرحت ظهري للجدار..

كان الباركيه باردًا والجدار ثلجيًا لكنني كنت سعيدًا.
بعقل طمأن في الخامسة كنت أعرف خطتي جيدًا.. في كل يوم سأأتي
إلى هنا وأتوارى خلف هذا المقعد إلى أن تحس ساعة الانصراف
وأنتسل إلى الخارج وأعود لبيتي... هكذا، للأبد وإلى أن أصبح رجلاً
كبيرًا لا يقدر أحد على إرغامه على الذهاب للمدرسة. هكذا

جلست راصياً عن نفسي... ومرت الساعات.

لا أعرف الوقت لكنني سمعت صوت الطابور وطقوسه ودقت لطلول (تحية الجمهورية العربية المتحدة) لا تسأنا في العام 1967. ثم سمعت عشرات الأقدام تصرب الأرض متجهة بزنازين استعديب ظلت أهني نفسي على براعتي ويبدو أنني نمت قليلاً.

صحوت من نومي فأخرجت الماندوتش من الحقيبة والتهمته، وعدت أجلس تلك لجلسة المتعبه التي لم أتحملها إلا بالعناد والرغبة في ألا تفشل هذه التجربة.

مر الوقت.. ثم سمعت من يتكلم.. هناك من يزيح الستائر ليجمع إضاءة المكتب ساطعة..

صوت العاملة العجوز الطيبة تقول لرجل إن مديرة المدرسة قادمة بعد قليل..

لم أفهم من الكلام سوى أن المديرة مختفية ولعلها مختبئة خلف مقعد آخر - وأن هذا لرجل مهم جداً. إنه يموي الجلوس.. إنه يتجه إلى... إلى...

المقعد الذي تواريت خلفه. آخ... هناك تعصير بسيط هو أن ردفيه عملاق وأن هذه المقعد تميل للحلف عندها يجلس عليها رجل بدين. هكذا وجدت نفسي كفأ في مصيدة وقد قطع هذا الرجل الماء والنور عني.. ومددت رأسي أنظر له..

كان شديد البداية وقوراً متأقاً.. وعلى عينه تلك النظارة السوداء التي كانت تدل على الأهمية في ذلك الوقت. لا أعرف من كان وزير التربية والتعليم في ذلك الوقت لكن لا أستبعد أنه كان هذا..

كانت هذه هي اللحظة التي لم أعد أتحص بعدها فوثبت من خلف المقعد، وطار الرجل متراً في الهواء وهو يصرخ:

“بسم الله الرحمن الرحيم!”

احتاج إلى دقيقة كي يستوعب الموقف.. ودقيقة حتى يفهم أنني طفل في الخامسة..

وقف وسألني محاولاً الظاهر باللفظ:

“اسمك إيه؟”

ثم أرد.. حملت حبيبتي في كبرياء وغادرت المكتب أمام
دهوله.

عندما عدت إلى العمل قوبلت بمصافحة من الدهشة.. لقد
كنت هذه هي الحصة الخامسة!.. انكل يسألني أين كنت فأرد في
غموض:

"سباعي.."

لا ضمير لدى الأطفال وهم يجيدون الكذب ويلتذون به..
لهذا أرسلت المعلمة خطاباً لأمي تشكو فيه المدعو سباعي وفي
البيت استجوبتني أمي مراراً فلم أكر أرد إلا بكلمة واحدة هي:

"سباعي!"

فيجن جنونها.. لو كان سباعي يتنكأ ويلعب القمار مع
أصدقائه فلن يتسبب هذا في تأخيري حتى الحصة الخامسة. الطفل
ملاك لا يكذب.. إذن أين كنت يا عم سباعي؟. انفتى يدافع عن
نفسه ويتسم بأغلظ الإيمان أنه أوصلني للباب في الموعد المناسب.

طبعاً لم يصدق أحد.. وظلت علامات استمهام مربية تحيط
به، بينما صار توصيلني للمدرسة مهمة أبي أو أختي. بعد

أسبوعين تركت أسرة سباعي البداية لتعود إلى الصعيد، ولا أعرف
إن كان لهذا علاقة باختطافه لي أم لا.. على كل حال عرف
الجميع حقيقة لقصة فيما بعد وتلقيت عنة لها لمحب..

في التسميات من القرن العشرين ساد مفهوم يذاع للأطفال
أو *Child abuse* في الخارج، وعوقب آباء كثيرون لأنهم عذبوا
أولادهم أو تحرشوا بهم جنسياً، وصار بوسع أي طفل أمريكي أن
يسجن أباه ويجد أبا أفضل لو قال للقاضي إن أباه قبله على حدة
ثلاث مرات مثلاً. جاء القرن الواحد والعشرون ليكتشف العلماء
التفسير أن معظم هذه القصص، بتكرها الأطفال ولغثوهم وبعضهم
اعتبرها ذكريات حقيقية وهي ظاهرة (الذاكرة المزيفة) المعروفة.
هكذا أعيد الاعتبار لآباء كثيرين ضاعت سمعتهم..

تذكرت قصة سباعي السكين هذا. مشكلته هي أن خصمه
الكاذب كان في الخامسة من عمره، والأطفال لا يكذبون أبداً، كما
تعلم وما زلت حتى اليوم أتمنى لو وجدته لأقول له: أنا آسف..
هذه هي الوقائع الغريبة والمثيرة لذلك الاحتفاء العامض،
ولهذا أطالب القراء بأن يحتفظوا بها ولا يخبروا بها أي واحد
من لم يشقروا هذا الكتيب..

عاصم



لا أعرف حقًا السبب الذي دفعنا

للتسميته بهذا الاسم. (عاصم) ليس من الأسماء المعتادة للقطط. كل قط يحترم نفسه لابد أن يحمل اسم (شمش) وكل قطة تحترم نفسها اسمها (بوسي)، لكن هذا الاسم العجيب ولد فجأة من دون ترتيب مسبق.

كان هذا الشيء لصغير بحجم قبضة طفل في الخامسة، يرقد جوار إطار سيارة في شارعنا ويصرخ كرضيع بلا توقف بصوت عال رفيع لا يمكن أن يكون إنسان في مصر لم يسمع صراخه في ذلك الصباح، فلا أجد سوى احتمال أن أمه صماء أو أنها توفيت تصرفت بلا تفكير وحملت الشيء لصغير في يدي وبالياد الأخرى ابتعت له كيسًا من اللبن، وعدت لأتلقى النوم من زوجتي التي لا تطيق أن تجد علبة ثياب في غير موضعها. تصور ما سيحدثه هذا الشيطان الصغير من دمار في حياتنا.

وضعت القط الصغير أمامها وقلت لها في هدوء إن بوسعه أن يتخلص منه متى شاءت. طبعًا لكي تفعل ذلك يجب أن تحمل جزءًا من شخصية (أبو لهب) و(فرعون موسى) مع مسحة من (هتلر) و(آل كابوني)...

هكذا سمعت صوت مياه الحوض وصراخ القط بينما زوجتي تعطيه الحمام الأول، ثم تنظفه بمزيل للبراغيث، ثم تفرغ زجاجة قطرة العين الخاصة بي كي تستعملها هي لإرضاعه. ويتعالى صوت الفم الصغير وهو يمتص اللبن من لقطارة شعرت برضا ونمت سعيدًا لأنني أنقذت هذا لكائن انتعس من الموت تحت عجلة سيارة.

المشكلة هي أن زوجتي صارت تكسر وقتها بالكدر من أجل هذا القط الصغير. لدينا أبناء لكنهم كباروا بما يكفي. وأصبحت بالدعر عندما وجدت أنها تعود مبكرًا من العمل كي لا يشعر القط العزيز بأنه وحيد.

الآن صار نصف الثلاجة مليئًا بالسكك المجمدة المخصص للقط العريض، ولا يمكنك أن تمشي في مكان ما من دون أن تشم

رائحة السمك المسلوق اللعينة دحك من رائحة الفصلات طبعاً.
هناك أكثر من وعاء مليء بالرمل محصص لقضاء حاجة القط، لكن
دعني أؤكد لك أن هذا لا يمنع أن تضرب الوعاء بقدمك وأنت شارو
الذهب لتتسخ السجادة، دحك من الرائحة طبعاً لأن الرمل لا يكفي
لإزالة التلوث.

انوغد الصغير يهرج في البيت.. ينام على فراشي وعلى
المعد الذي أفضله عند مشاهدة التلميرون، فإذا مددت يدي لأبعده
كان رد الفعل كالبرق: بلع فخ!

واسترد يدي لأجدها قد تحولت إلى شرائح دامية بحيث
يمكن أن تلعب دور البطولة في أي من أفلام الرعب الحديثة. يمكن
أن تجلس لتقرأ ثم ترفع عينك فجأة لتجده على المكتب جوارك،
يربض على بطنه في وضع تربص كتمر وسط لأحراش، وهو يحرك
مؤخرته حركة رجوية بطيئة بهدف ضبط التصويب. وهو يقصد
طبعاً تلك الكرة السوداء الراقصة في محجر عينك..

هواية صيد العيون هواية محببة لديه لكن زوجتي مصرة
على أنه يهرج لا أكثر.

قلت لها إن القط شرس بحق ومن الواضح أنه ينتمي لأسرة
من أسفل قطط الشوارع شديدة الوحش، فناننت بي في حزم.
-لقد حرم من أمه وهو ما زال رضيعاً فماذا تتوقع؟-

ثم تعرض علي التخلص منه بمعرفتي.. هكذا أتخيل هذا
القط المدلل الذي يستحم بلشامبو بينب أما أحمله في سيارتي إلى
أرض قفر، ثم أتركه هناك وهو ينظر لي بعينين متسانلتين بينما
أما أركب سيارتي مبتعداً.. مستحيلاً.. لقد قرأت موقف
شبهها في قصة (مومو) لإيفان تورجنيف، وما زال تذكر المشهد
يبكيهني فماذا عن عمل ذلك في الواقع؟

هكذا أقبل الخدوش واصطياد ساقبي وكعب رجلي،
وأتحمل.. المشكلة أن الوعد يكبر بسرعة جنونية وسوف يتحول
إلى نمر حلال أساييع. والغريب أنه لا يؤدي أحداً في البيت
سواي، فهو لم يخذش لأولاد قط. معنى هذا أن مشكلته في
الحياة هي أنا..

هناك قاتل متعطش للدماء تحت سقف بيتي، ولا أجرؤ
على التخلص منه كما أن زوجتي تحبه كثيراً وترفض أن يؤديه



قط آخر

كان هذا القط من أرقى
من عرفت.. لا أتحدث عن القطط
طبعًا بل عن القطط والبشر معًا.

جاءها وهو صغير السن جدًا انتهى لتوه من الرضاعة، وهو
سليل أسرة نبيلة من القطط الرومية تضم بعض اللوردات
والبارونات كما قيل لنا. أبيض اللون كالثلج رائع الجمال وشيق
أنيق.. وقد شعرنا برهبة ونحن نراه يجلس منتصبًا على مقعد
جوار مائدة الطعام المعدة بما عليها من لحوم، وينتظر في أدب أن
يقدم له نصيبه فإن لم يحدث هذا فربما مات جائعًا.. كما أصابتنا
الدهشة عندما رأينا طفلة في الرابعة من عمرها تحملها من نراع
واحدة وتمشي به في الشقة، وهو يفصل أن يتدلى كدمية متأرجحة
على أن يخمسها أو يعضها.. هذه أشياء تفوق تفكيره..

قلت لنفسي وزوجتي إن هذا القط راق فلا أقل من أن

أحد لهدأ أحيطكم علمًا . لو وجدتم في الأسابيع القادمة جثتي
ممرقة بوحشية وبركة دم تحيط بها، فلا تتعبوا رجال الشرطة
ولا تضيعوا وقتهم الثمين.. الماعل قط وديع حرم من أمه اسمه
(عاصم) ..

نعامله كما ينبغي، وهكذا رأى القط النخيل معاملة جديدة بأحد
أفراد أسرة البوربون، حمام بالشامبو، طعام مغلب أفضل قطع
من أية دجاجة أو سمكة نأكلها.. فراش نظيف.. الخ..

عاش القط حياة هادئة محتفظاً بكبريائه وهدوئه، وحظي
بأقصى تدبير ناله قط عرفته. لا اعتقد أنني في طفولتي حظيت
بهذا التدليل، ولو حدث لصرت إنساناً أفضل بالتأكيد..

على أن عاماً مضى واكتشف لقط اختراعاً مذهلاً لم يسمع
منه من قبل: الأنثى!

كان يقف على سور الشرفة يرقب الطريق، عندما تهافت
ثلاث لقط في الشارع وهي تهز مؤخرتها في رشاقة.. قطّة بنت بلد
حذاء بادية الشراسة تعرف ما تريد وتعرف كيف تحصل عليه،
ومظرت لشرفتنا للحظة ورمته بسهم أضر صوابه ثم توارت خلف
صندوق قمامة..

منذ هذه اللحظة تبدل حال القط ابن الناس..

كنت تجربة الهرب الأولى قصيرة، وتتلخص في أنه فر
من الباب ثم ركض على سلم لمبة ووثب بين فرجات حديد

البوابة. وجد جنون روجتي وهي تتخيله يركض بين إطارات
السيارات هو الذي لم ير سيارة في حياته. مر أسبوع عتبرت فيه
أن هذه القصة انتهت تماماً حتى فتحت الباب ذات يوم لأجده
يقف في حري وشيء من الرضا على الباب، بالنظر أن نسمح له
بالدخول، كما يفعل الأب الذي يفر مع راقصة في الأفلام العربية
القديمة ثم يعود لأم العيال طالباً الصفح..

لكن قوانين اللعبة تغيرت.. في الشارع هناك براغيث
وهناك جراثيم وهناك قطط وكلاب مسعورة ومريضة.. هكذا لم
يعد من حقه أن يبيت داخل الشقة مع الأطفال، وأعددت له بيت
صغيراً على السلم وصار يأكل هناك ويقضي حاجته في عتبة على
سطح البناية..

المرار الثاني كان أطول.. وهذه المرة لم يمر دون خسائر.
لقد عاد لنا وقد بدأ يفهم قواعد اللعبة.. الجروح تملأ جلده وهناك
عين موشكة على التلف.. لقد خرج إلى الشارع واشتبك مع قطط
الشوارع، عندها تعلم أن فرصته في البقاء حياً وسط هؤلاء ضعيفة
إن لم تكن معدومة..

برغم شباتتد الواضحة فبنا بتطهير جروحنا وضمدناها،
ثم عدت نطعمه وإن تعلم أنه لم يعد مرحباً به لهذا الحد، وبما
أنه رقيق شديد الحساسية فهو لم يحاول أن يفرض نفسه علينا
أكثر..

تكرر الفرار وفي كل مرة يعود وقد صار حاله في منتهى
السوء.. يوشك هذا القط أن يصير مرجعاً في علم الطب الشرعي أو
الإصابات.. لقد كد عنقه بلفصل والدم يسيل منه في كل وقت. لا
أعرف إن كان قد وجد فرصة للمرح الجنسي الذي تمناه لكنه
بالتأكيد كن يخرج لتتدرب عليه قطة الشرع باعتباره كيس
ملاكمة.. وفي حياتي كلها لم أرق قط بهذه الحال السيئة حتى
بدأت أخشى أن يتفتت على قارعة الطريق كأنه كيس من اللحم
المفروم.

لقد تنازلت عن عرشه بكامل إرادته، كما فعل (إنوارد) مع
مس (سبسون) من قبل، وهي التي كنت امرأة قبيحة مسنة
مطلقة.. هذا القط قد قادته المرأة إلى حتفه.. أفقدته كل شيء،
وبانطبع كانت حالته لا تسمح بأن آخذه إلى بيت أحد أصدقائي

ليروج قطة نظيفة بعباس. لن يصدق أحد أنه ليس مريضاً
بمرض معد خطير..

بالفعل كان مصاباً بمرض خطير، وهو الحب..

لكنه ظل راقباً شديد للكبرياء، ولم يتعلم من قطة الشرع
الشراسة أو اللصوصية. فقط كان يُصرّب في شرف وتعمف كأنه
لورد بريطاني في لعبة الملاكمة..

متى فر نهائياً؟.. لا أذكر..

فقط لم يعد هناك، وقد بحثت كثيراً عنه حول البيت وفي
الشوارع الفرعية فلم أجده ولم أجده جثته لحسن لحظ. لا شك
عندي في أنه قد مات لكن هذا حدث بعيداً.

كانت هناك كومة من أوراق الصحف في شارع جانبي
أزحتها متوقعاً مشهداً بشعاً، لكنني فوجئت بقطة صغيرة تعوي
خوفاً وجوعاً.. قطة بيضاء أنيقة رائعة الجمال.. لا شك أنها
اكتسبت الجمال من الأب وسوء الطبع من الأم، وقد سرني أن
أعرف أن هذا القط في جولاته الكثيرة لم يكن يتلقى الضرب فقط
بل كان يصنع أشياء أخرى!!

الشاردون



أشهر قصة تُحكى عن شروود الذهن

هي قصة ديسون العالم الأمريكي العظيم الذي لم يحضر حفل زفافه. السبب هو أنه انشغل في العمل في تجربة مهمة. وقد بحثوا عنه كثيراً ففتح أنه كتب موعد الزفاف في مفكرته لكنه نسي!.. لا أعرف ما قاله لعروسه في تلك الليلة السوداء لكن انتاريخ لا يحكي أن فسخ الخطبة قد تم على كل حال. هناك نيوتن عالم الرياضيات لعظيم الذي كان جالساً قرب المدفأة ولا يشعر بالدفء.. هكذا طلب من خادمه أن ينزع المدفأة من الجدار ويقرّبها منه.. قال له الخادم في أدب:

ـ "لماذا لا يقوم سيدي بتقريب مقعده من النار؟"

هنا شهق نيوتن، وأعلن أن خادمه عبثي حاضر الذهن فعلاً.

القصة الأغرب هي (تخسترتون) الكاتب المسرحي

البريطاني الشهير الذي وقف في طابور مكتب ليريد ليحصل على حواله ماله. فلما بلغ لشباك اكتشف أنه نسي اسمه! وكان أول ما قاله للموظف المذهول:

ـ "معذرة يا سيدي.. لكن هل تعرف اسمي؟"

يمكننا بسهولة أن نتصور ما قاله الموظف وما فعله.

شروود ذهن العباقرة أمر معروف للجميع، وإن كان يسبب الدهشة أولاً وكثيراً ما يدفع الناس إلى اعتبار العبثي على شيء من الخبال أو الجنون.. لكنهم بعد ذلك يقبلونه باحترام.

لكني أعترف أن شروود الذهن لا يدل على العبثية في كل الظروف، بل قد يدل على عقل خاو تماماً.. وباعتباري من الذين اشتهروا بشروود الذهن، فأبني أقر وأعترف أن أغلب الأوقات التي شوهت فيها شارداً لم يكن في رأسي أي شيء مفيد، لكن الناس تنظر لي في احترام، وتتصور أنني أنظم قصيدة عصماء أو قصة عبثية.

أشهر من عرف بشروود الذهن في عالم الأدب هو الأديب المصري (توفيق الحكيم)، لكن المخرج (محمد كريم) جلس معه طويلاً أثناء كتابة سيناريو فيلم (رصاصة في القلب) ولاحظ أن

جرء، من هذا لشروود يرادي تماماً.. مثلاً لاحظ أن توفيق الحكيم يجلس شارد الذهن وذفنه مستندة على مقبض عصاه، فيقول له محمد كريم:

.. "هذه فذة حسناء سألت عنك أمي.."

عنده يفيق لفيلسوف الشارد على الفور، ويستفسر من كل التفاصيل. هذا إذن شرود يرادي يفيق منه متى شاء.

لوسيدر عبد الوهاب اشتهر بالشروود الحقيقي، ويقول كل من قاربوا منه إنه كن يروم كالقطط طيلة الوقت لأن الألحان لا تكف عن ريرة عقله. أحمد شوقي الشاعر كن شارد الذهن كذلك، وكان يخرج علبه السجائر كل بضعة دقائق ليهن على همشه بضعة أبيات قبل أن تضع.

على كل حال، يمكنك أن تنجو بشروودك فلا يسخر منك أحد إذا أقسمت لناس أنك فنان. وهو حر لا بد أن تلجأ إليه إذا أردت أن تنجو من موقف محرجة جداً..

مثلاً ذات مرة كنت شارد الذهن وقابلت امرأة ذات وجه مألوف على سلم بيتي فهرزت رأسي وقلت في وقار متحفظ:

.. "مساء الخير"

وواصلت النرول.. فقط بعد ربع ساعة تذكرت أن التي قابلتها هي أختي!.. والله العظيم حدث هذا وليس من تأليفي.

في مرة أخرى كنت زميلة عمل مملة تكلمني بصوت رتيب عن أشياء كثيرة، فلجأت إلى الحل لأمش وهو صوت (م م م) كس ثلاثين ثانية بما يوحي بأنني أتابعها.

.. " .. "

.. "م م م م!"

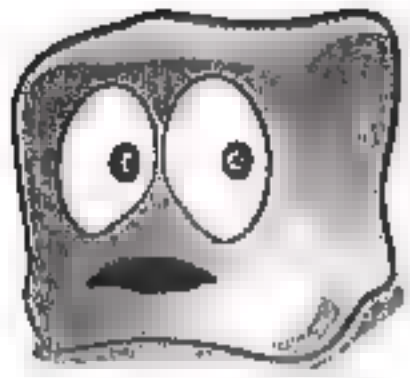
.. "؟؟"

.. "م م م م!"

وفجأة فطنت إلى أنها تنظر لي في يوم وقد كفت عن الكلام الرتيب، ولما نظرت لها قالت:

.. "أنا أسألك!.. وكالعادة لا إجابة عندك إلا (م م م)"

هذه مواقف محرجة جداً لهذا عليك أن تقنع الناس على سبيل الاعتذار أنك عبقري وأنت تمكر في عظم الأمور.. عليك أن



سفارة القطب الشمالي

ربما يصعب على الأخوة الخليجيين فهم هذه المشكلة، لكنني أتحدث عن مصر حيث الجو أقرب إلى البرودة أو على الأقل كان كذلك قبل أن يتكفل (الاحتباس الحراري) بحر المشكلة. الظاهرة التي لاحظتها من خلال عملي كصبيب هي أن الناس تخشى البرد جداً . تعتقد أنه المسئول عن كل مشكلة صحية تصيبهم، ولكم من مرة فحصت مريضاً في شهر أغسطس وأعرق المهر من جبيني يوشك على أن يصير بركة صغيرة يعرق فيها المريض، عندها اكتشف أنه يلبس سروالاً صوفياً كاملاً تحت ثيابه.. وفي الصباح ترى في الشارع تلك الرجل الذي يلبس معطفاً من الصوف وقد لف رأسه بتلفيفة صوفية سميكة.. كل هذا جميعاً فيما عدا أننا في يوليو!

تعتذر ثم تخرج ورقة مطوية وتدور فيها بعض الكلمات بلهفة ويد ترتجف ثم يتمهد في ارتياح كمن فرغ من آخر بيتين في ملحمة الإلياذة.

غرابة أطوار؟.. ربما.. لكنها ليست أغرب من أن تقابل أخذك فلا تعرفها، أو تكتشف زميلتك لك لا تسمع حرفاً مما تقول..

وكما هي العادة، شرود الذعر سوف يجعلني أفرغ من كتبة هذا المقال ثم أرسله لزوج خالتي كما أفعل في كل مرة ، بدلاً من إرساله للباشر. لكنني سأزعم له أنني كنت أفكر في المقال التالي!

البرد هو المسئول عن كل الأمراض من التهاب القولون حتى سرطان شبكية العين. هكذا يؤمن الناس. لو أن أحدهم صحا ليجد نفسه رأسين وثلاثة أعين لاتهم تيارات الهواء البارد..

برغم هذا كنت أصاب بحمى أو رشح، عندها تقوموني أمي لأنني لم أحترز من البرد بما يكفي...

«أنا حرة الآن»

نعم.. لا يوجد مخلوق في الكون يشعر بالحر مثلي، لعرق يسيل من جبينني حتى في يناير، ولا تحمل أن أمام تحت لعطاء في مارس..

لكنك في مصر حيث لا يسمح لك بأن تعارض كل هذا البرد في حياتك . هناك مشكلة خطيرة جدًا اسمها (الآخرون) .. هناك زوجتي التي تؤمن بأنني سأقتل الأطفال ثم أقم برطفاء جهاز التكيف. صديقي الذي يركب سيارتي يكون أول شيء يفعله هو

أن يعد يده لجهاز التكيف ليخفضه. مع التحذير الشهير:

”ستتعب صدرك بهذه الطريقة“

دعك بالطبع من هؤلاء الحساسين.. وأن أعرفهم وأشملهم
من على بعد أميال. يدخلون أي مكان فيه مروحة فيمدون يدهم
على الفور ليغلّقوها (لأنها تسبب الصداع).

تقول في حياء إن الطقس حار وتجفف عرقك، فيقولون في
ثقة:

”ستتعب صدرك بهذه الطريقة“

وهكذا تتحول أنت إلى كتلة تمسة من العرق اللزج،
ويسير العرق ليحرق عينيك فتفتحهم بصعوبة، بينما هم في
منتهى السعادة والرضا عن النفس..

أشعر وقتها أن هذا الرجل لا يمكن أن يصاب بصداع لكي
يصاب بصداع يجب أن يكون لديه رأس..

نعم.. أنا أمتت الحر وأتمنى أن يعود العصر الجليدي
لأخرج من بيتي على منظر الثلوج تكسو الشارع. لكن لا تأتي

الرياح بما تشتهي السفن، وكل مكان يتحدث عن الاحتباس
الحراري والتسخين وثقب الأورون، بما يعني أن القطبين
سيقلان عما قريب، ونصير نحن مع الأسماك..

ربما يعني الاحتباس الحراري نهاية الحياة كما نعرفها،
لكنه بالتأكيد سيسعد كس هؤلاء لأنهم لن يشعروا بالبرد ولن
يتعرضوا لتيارات الهواء ولن يصيبهم لصداع..

حتى تأتي تلك اللحظة هن تعرف إن كنت هناك سفارة
للقطب الشمالي؟.. وكيف يستخرجون لتأشيرة للذهاب هناك؟

هل تأملت نهراً؟



هذه قصة شهيرة جداً عن

خروشوف رئيس الحزب الشيوعي

السوفييتي، الذي كان سليلت اللسان لا بهجامل، وهو أول وآخر رجل ينزع حذاءه ليدق به على منصة في الأمم المتحدة. عندما رار معرضاً للفن الحديث . ظل يمشي بين اللوحات صامتاً ثم قال في النهاية:

"هذه اللوحات مرسومة بذيول حمار وأنا لا أقول هذا

كذلك فني بل كرئيس للجنة المركزية للحزب!"

طبعاً عندما تقال هذه الكلمة في أمريكا أو أوروبا فهي لا

تعني سوى خروج الفنان، بينما عندما تقال في بلد شمولي شيوعي

فمعناها أن الفنان قد انتهى.. صار بطة ميتة..

الحق إنني عندما أتأمل لوحات الفنانين الجدد الحديثة

أفهم رأي هذا الرجل جيداً وأضيف أنه من الأفضل إعدام هؤلاء الفنانين جميعاً ليكونوا عبرة لسواهم . هناك ألوان تدسكب على ألوان وخطوط تقتحم خطوط . يستحيل أن تفهم أي شيء أو تشعر بأية متعة، ولقد رأيت على شاشة التلفزيون لوحات رسمها درفيل، أكثر روعة وإتقاناً من هذه. المصيبة عندما يظهر أحد أساتذة القنور ليهتكلم عن (البنية اللونية في تشبيء الموجودات والتعامل الوحشي مع اللون بشكل يقترب كثيراً من للتصوف.. إنه الجدل الذي لا ينتهي بين المادة والروحانيات)..

أبحث في اللوحة عن بنية لونية وتعمد وحشي فلا أجد حتى التعامل الإنسي، ولا أرى أي تصوف في للوحة.. لا يوجد جدل بين المادة والروح إلا لو كنت لمادة تعني المد والروحانيات تعني المشروبات الروحية.. هب أفهم.. الفنان كن ثملاً ورسم الصورة لأنه محتاج للمال..

الشككة أنك لا تستطيع أن تعلن هذا . انتهى لعصر السعيد عندما كان بوسمك أن تقول عن اللوحة لربيثة إنها كذلك.. كلهم عباقرة مبدعون وأنا لجاهل الوحيد..

تذكرت قصة جميلة لأندريه موروا تحكي عن فنان مبدع
مغمور لا يبيع لوحة واحدة من لوحاته زاره صحفي من أصدقائه
غرق بحاله اقترح عليه أن يدعي أنه ابتكر أسلوبًا جديدًا في الفن
اسمه (الطريقة النفسية التحليلية) .

— "هل يمكنك أن ترسم لي بعض اللوحات تحوي كلامًا
فرغًا ؟ مثلاً امرأة جميلة وحولها أوراق مالية كناية عن حب
المرأة للثراء . مثلاً رجل يدين متألق حولته دموع ودم كناية عن
غنى لحرب.. هل تستطيع ذلك؟"
— "بالتأكيد.."

— "إذن نفذ عشر لوحات بهذه الطريقة وسوف أكتب أنا
مقالة عن طريقته المبتكرة وعن معرضك القادم"

وهكذا أجز الفنان هذا الكلام العار في ليلة واحدة، وجاء
يوم المعرض لدي احتشدت باريس كلها لقراه.. كان هناك حشد
من النقاد الفيين، فقال الصحفي للفنان:

— "لا تخف.. كلما سألك أحدهم عن معنى (الطريقة
النفسية التحليلية) اكتف بأن تنفث دخان العليون في وجهه

وقل هل تأملت في حياتك نهرًا ؟ . سوف يتظاهرون بأنهم
فهموا!"

نفذ الفنان التعليمات.. كلما التفت حوله نقاد أو صحفيون
وسألوه عن معنى أسلوبه، نفث الدخان في وجوههم وقال . " هل
تأملتم في حياتكم نهرًا؟.. "

هكذا يصيحون في انبهار:

— "هذا صحيح.. يا له من عبقر!"

انتهى المعرض بعد ما بيعت اللوحات بثمن باهظ، وصار
الفنان أهم فنان في باريس..

جاء الصحفي ضاحكًا بعد رحيل الناس وقال:

— "هل رأيت كيف خدعنا هؤلاء القوم بلوحاتك عديمة

القيمة؟"

نظر له العنان في حزم وقال:

— "هل أفهم من هذا أنك تنتقد طريقتي النفسية

التحليلية؟"



عن شجاعة الجهل

كنت متأخراً عن ذلك الموعد مع رجس لم أزره في بيته من قبل، وعندما أوقفت سيارتي في تلك الساحة الخالية خارج المدينة بدا لي منظر البيت جديراً بفيلم رعب.. فقط سوف يخرج من الداخل ذلك الرجل مشوه الوجه الذي يحسن مدشراً لودديب يريد أن يتطع به أطرافي.. هذا ما ينقص المشهد..

على كل وجدت باباً مفتوحاً يقود لما يمكن أن يكون مرآب خالياً، فدخلت في ثقة وأن أبادي الرجس.. هناك غرفة مفتوحة على اليسار دخلتها . فوجئت بالرجل الذي جئت لزيارته جنساً خلف مكتب، وقد امتنع وجهه فصر بلون لورقة، وهو ينظر لي في دهول نظرة أثارت رعبى.. وسأل بنهفة:

صاح الصحفي في غيظ:

"هلم!.. لا تصدق نفسك.. أنت تعرف أنه لا يوجد شيء

اسمه (الطريقة النفسية التحليلية)"

هنا نظر له الفس طويلاً ثم نعت دحسن الغليسون في وجهه

وقل:

"هل تأملت في حياتك نهراً؟!"

.. "كيف دخلت؟"

.. "وجدت الباب مفتوحاً و.."

عاد يكرر في جمود.

.. "كيف دخلت؟"

ثم أمسك بي بيد راجمة باردة وفتادني إلى مدخل الغرفة التي نحن فيها، هد خيل لي أن أبواب الجحيم انفتحت. هناك كلبان أسودان عملاقان جديران بالأساطير الإغريقية، يبلغ ارتفاع الواحد منهما ارتفاع كتفي بلا مبالغة، وكان يزاران ويعويان وينبحان واللعب يتطير من شدقيهما، والعيون تلتهب بصوء فوسفوري مخيف.. لكنهما كانا مدربين على عدم دخول هذه الغرفة لحسن الحظ..

قال الرجل وهو يشير لهذين، لوحشين.

.. "هذان كن يمكن أن يمزقاك! أنا نفسي أخشاهما ولا أضمن ألا ينقلبا علي!.. كيف دخلت بهذه الجرأة؟.. ولماذا لم تقف على الباب لتتدبرني كي أدخلك؟"

نظرت للكلبين وتذكرت كيف دخلت وحدي في شجاعة

وثقة وخفة، وقلت بصوت مبحوح:

.. "هذه شجاعة الجهل!"

هذا الشهيد خالد في الأفلام العربية الكوميدية على كس حاله. صديق البطل يلعب ثياب العوريل ليثير رعب حبيبة البطل.. كما يحدث خلط ونظير غوريلا حقيقية هاربة من حديقة الحيوان، لكن البطل لا يعرف. يعتقد أن الغوريلا الحقيقية هي صاحبة المنكر ريريت عليها ويحتضنها ويصارعها كل هذا نموذج على شجاعة الجوع. ثم تأتي لحظة الحقيقة عندما يرى صديق يجري مذموراً من بعيد.. عنده يقلب الموقف في ذهنه.. يبدأ في العزم، في ذات اللحظة تكسر الغوريلا الحقيقية عن أنيابها وتنفض عليه. لقد تخصص (فؤاد المهندس) رحمه الله في هذا المشهد..

في رحلة ريفية رأيت مجموعة من أصدقائي يلعبون لعبة سخيطة: علقوا زجاجة مياه غزية فارغة بحبل من غصن شجرة وجعلوها تتأرجح كبندول الساعة، ثم راحوا يصوبون عليها بالبندقية من مسافة بعيدة نسبياً.. دنوت منهم وقررت أن

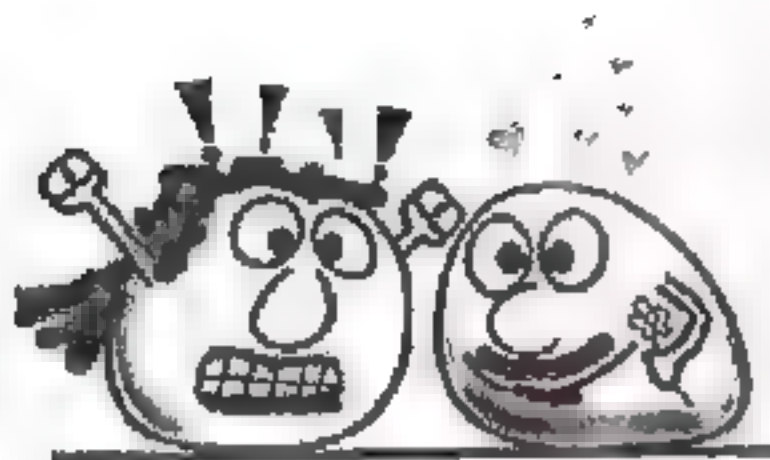
أجرب.. ما هذه؟.. بندقية؟.. كيف تعلقون بها؟.. ما المطلوب بالضبط؟.. إصابة هذه الزجاجية؟.. دعوني أجرب.. وضعت الرناد بلا تفكير لتقتل شظايا الزجاجية في كل اتجاه ويشق أصدقائي دهولاً.. عرفت فيما بعد أنهم يحاولون منذ ساعة وأن ثلاثة منهم حاصلون على جوائز في الرماية لكنهم فشلوا!!.. لو كنت أعرف هذا كله مسبقاً لفشلت حتماً..

شجاعة الجهل.. نولها لما فعلت أي شيء لأننا نتوقع الفشل منذ البداية..

لهذا لم أندش عندما قرأت عن ذلك الشاب الأمريكي الذي دخل قاعة لمحاضرات متأخراً فوجد على لوح الكتابة معادلة غير محلولة. نسخها وافترض أن هذه هي واجبه المنزلي.. هكذا عد لداره وسهر حتى أتم حل هذه المعادلة وقدمها لأستاذه في اليوم التالي. أصيب الأستاذ بالذهول، وطلب الفتى ليخبره بالحقيقة: هذه المعادلة لا حل لها أو هكذا اعتقد أساتذة الرياضيات عبر التاريخ، وقد كتبها الأستاذ على لوح الكتابة كتمهيز للمعادلات مستحيلة الحل. الطالب الذي لم يعرف هذه

الحقيقة حلها في ليلة واحدة!!

لا أعرف مدى صحة هذه القصة، لكنني متأكد من قصة أخرى عن طالب أمريكي عذب لاه، طلب منه أستاذه بحثاً في الفيزياء موضوعه (إمكانية أن تتمكن مجموعة إرهابية من صنع قنبلة نوية).. هذا البحث كان فرصته لأخيرة قبل الطرد من الكلية نهائياً. هكذا عمل الطالب بجد على هذا البحث وسهر كثيراً جداً. في النهاية تمكن من تقديم البحث لقسم الفيزياء بعد أسبوعين، وكل همه ألا يرسب نهائياً ويطرد من الكلية. بعد يومين فوجئ بمن يزورونه من رجال CIA ورجال FBI ومهمتهم معرفة هل هناك جهات أجنبية قدمت له معلومات بمصدر هذا البحث؟. لقد توصل الفتى بالفعل إلى طريقة عمل القنبلة النوية! . وبالطبع صودر البحث ون سمحوا للفتى بأن يكتب كتاباً عن قصته هذه دون ذكر تفاصيل. هذا الخبر كان مشهوراً جداً في الثمانينات وكتبت عنه الصحف كلها. الفتى الذي كان يجاهد كي لا يرسب توصل إلى اللغز الذي تدفع أجهزة المخابرات في العالم كله الملايين كي تعرفه..



رائية تحبني

نعم يا عمي.. (رائية) تحبني.. أنا مؤمن بهذا..

نحن متزوجان منذ خمسة أعوام، وقد منحتها كل شيء
يمكن أن يمنحه رجل بلا جنحين ولا خيشيم لزوجته. الآن هي
غاضبة وتقيم بشكل مستمر عند والدتها، ولا أعرف السبب لكنني
أرجح أنها تحبني فعلاً، وما هذا التصرف إلا نوعاً من الدلال
المبالغ فيه..

نعم.. هناك موضوع الصور المشتركة لذ التي قامت بقصصها
بالتقص بحيث تزيل الجزء الخاص بي.. هذه نقطة لصالحك،
لكنني أؤكد لك أن هذا لا يعني أنها تكرهني. اعتقد أنها أرادت

العبرة لأخلاقية من هذا المقال؟ أما أكره المقالات التي
تكتب من أجل عبرة أخلاقية ما، لكنها على كل واضحة تماماً
هنا.. يجب أن تتحلى بشجاعة الجهن ولا تفكر في مدى صعوبة
ما نحن بصدده، ولا بعدد من فشلوا قبلنا. هذه هي الطريقة
الوحيدة المكنة للنجاة، أما لو حاصرنا أصحاب المخاوف قبل أن
نبدأ فلسوف تخرج تلك الكلاب السوداء المثيرة لتمزقنا قبل أن
نخطو خطوة واحدة!

انتخلص من هذه لصور، ولم يهر علىه أن تلقي بصوري في
القمامة، احتفظت بصوري في موضع خاص ثمين..

(رانية) مولعة بالإنترنت.. تقضي الساعات أمام برامج
الشات وتغلق لشاشة عندما تدخل.. ان لا أفهم في الكمبيوتر لهذا
أعجب كثيراً بقدرتها على التعامل مع هذا العلم المعقد . هل
تلومني على ذلك أيضاً؟

(رانية) مولعة بالأدب لهذا تكتب خطابات طويلة جداً،
ثم تبدأ أنملها بلعطر وتنتثرها على الرسالة . هل تلومها على
ذلك كذلك يا عمي؟.. هذا اهتمام أدبي حميد، وأدباء كثيرون في
التاريخ كانوا يعطرون الورق الذي يكتبون عليه.. اهتمام شديد
بقدسية الكلمة، فلماذا توجه لها تهمة بهذا الصدد؟ بالطبع
أنا لا أقرأ محتويات الخطابات لأنها خصوصية.. هل تتوقع مني
أن أفعل ذلك؟

أمه تقول لي إن (رانية) تريد الطلاق وإن عريساً جاهزاً
يانتظر هذه اللحظة ليفوز بها . أمه تقول لي ألا أتصل بالبيت
ثانية.. أمه تقول لي: "فلتفعل ما تريد لكنك ستطلقها في

النهاية". أقول لك - منذ متى أحبتي أمه؟ منذ أيام الخطبة
والحب الأول وأمها تكرهني كالجحيم.. لكن ماذا عن رأي
(رانية) نفسها؟ . أنا أرى أن (رانية) جوهرة وسط العبار.. وعلي
أن أمد يدي لأستعيدتها..

تذكرني بقصة الحادث؟ عندما اصطدمت سيارتي بتلك
الشاحنة العملاقة وتحولت إلى علبة تبغ أطبق عليها رجل مجنون
قبضته حتى هشمها. كانت رانية مدعورة جداً وراحت تبكي أمام
باب المستشفى ثم سقطت على الأرض فراحوا يرشون الماء على
وجهها.. كانت تردد بلا انقطاع .

— "السيارة جديدة ولم تقطع أكثر من ألف كيلومتر .
السيارة جديدة!"

بالطبع هي ليست قلقة على سيارة.. لا تكن طفلاً.. هي
قلقة علي لكن الصدمة جعلتها لا تعرف ما تقول..

حتى ذلك اليوم الذي ابتلعت فيه بطريق الخطأ ذلك
الحاتم . قالت لي في رعب: "يجب أن ينزل هذا الحاتم بأي
ثمن!" . لا تقل لي من فضلك إنها كانت حادثة على الحاتم هذه

مبالغة من تذكر مدى قلقها وهي تروح وتجيء أمام الحمام بانتظار لحظة نزول الخاتم واستعدته؟ كانت قلقة علي فعلاً.

خلافات بسيطة في رأي بيت لا تعدد للود قضية مثلاً
أد أريد قضاء عطلة الصيف في تركيا هي تريد لطلاق 1. كما
تري يمكن تقريب وجهات النظر لنصل لاتفاق مشترك..

عندما حدثت أنت في تلك الليلة يا عمي لتصلح بيننا، ظلمت
تصفي في صبر لعشرات المواضيع اللرجة التي لا تكف هي عن
ستعدتها والشكائم في شخصي، وشربت عشرات أقذاح القهوة
والحيرة على وجهك في النهاية وقد اقترب الفجر نهضت وقلت
وأنت تضحك؛

"نهي تهيم بك حباً.. هذا واضح.. هيء هيء.. إنها فقط

تتدلل"

وبدوت بالفرار بهجلك حامداً الله على سلامتك.

لكن في المرة التالية — بعد خروجك من العناية المركزة
بسبب ارتفاع الضغط لناجم عن كر هذه القهوة قلت لي إن
(رابية) لا تحبني ونه من لأفضل أن أتخلص منها أو أتركها

تتخلص مني. ما سبب تغير وجهة النظر بهذا الشكل؟.. هه؟

أسمع أنها لا تكف عن البكاء، وأنها تتردد على المدجالين
الذين يطمعونها بتسخير الجان للتخلص مني، وسمعت أنها تهدد
بالانتحار لو لم أطلقها.. هل تصدق هذا الهراء؟..

إن رابية تحبني يا عمي.. أعرف هذا وأؤمن به. فقط هي
تسرف في الدلال، ولسوف ينتهي هذا كله وترتمي في أحضاني
وتخبرني كم أنا زوج ظريف محبوب..

سوف ينتهي هذا كله..

لكن أين ومتى وكيف؟.

الحقيقة نكروه بعضنا بجنون..

لا أعرف متى ولا كيف اشتريت هذا الجهاز. كن كس
الناس يحملونه وفي يوم من الأيام قررت أن أبتاع واحدًا لزوجتي.
لكنها أعلنت أنه قبيح وشكله مفر وأنها تخجل من إخراجه أمام
الناس أو سماع رنينه. هكذا وجدت نفسي أحمل الجوال للمرة
الأولى في حياتي..

مع الوقت عدت الحياة أكثر تعقيدًا وتشبهًا بحديث صار
هذا الجهاز مهمًا فعليًا. عليك أن تقبل به أو تبقى في الخلل لا
تعرف شيئًا عن أحد ولا يعرف منك أحد..

منذ ذلك الحين أحاول التخلص منه وفي الوقت نفسه لا
أجرو على ذلك..

هناك أولاً مشكلة دائمة: جهازك المحمول قديم وبال
وفصحة في أي وقت. أسأل من يفهمون هذه الأمور فيحك ابواحد
منه دقنه ويقول: "أفضل نوع هو بوكب 25424895346898
LMSDH". إنه ممتاز..

هكذا أشترى الجوال المدعو بوكب 25424895346898



علاقتي بجهاز الهاتف المحمول علاقة معقدة جدًا،
قوامها الشك والتوجس والكراهية المتبدلة. أعرف أن هذا الجهاز
انكريه سوف يقتلني يومًا ما بضغطة اللوح على أعصابي، وهو
يعرف أنني أنتظر أي خطأ له كي ألقى به في أقرب علبة قمامة أو
على الأرض، توطئة لأن أحوله إلى دقيق صالح لصنع أول رغيف
رقمي في التاريخ..

أشعر بأنه عقرب في جيبتي ينتظر الفرصة ليلدغني.. لا
أعرف متى ولا كيف.. فقط سوف يفعل هذا وهو يعزف لحناً
قصيراً مرحاً..

هكذا نمضي.. نبدو لمن يرانا صديقين لا يفترقان، لكننا في

LMSDII وأقصى أسود لبلي حياني في قرعة كتيب التعليمات. الجهد الذي أحتاج له يقترب من الجهد اللازم للتحكم في أحد أقمار ناسا الصاعدة في النهاية أصشي بذلك الوغد في جيبني أحضر محاصرة أو ندوة فيدق لهدف أخرجه وأكلم . هنا يبدو انه هول على الوجوه. كيف يحسن بش هذا الجوال الرخيص الرديء؟ إم أن يكون بخيلاً أو مجنوناً أو - على الأقل - سفيهاً.

ثم يأخذني أحدهم إلى جانب ليقول لي في خجن وتهديب: "بصراحة ده مش مقامك". إن لحياة معقدة بما يكفي، فلا يمكن أن نزيدها تعقيداً بجول حقير مثل هذا، وأنا رجل محترم أو هكذا. كن بحسبني حتى رأى هاتفني.. وينصحني بشراء الجوال المدعو جودريلا F4667Dj91BBC78-L3 فهو مناسب للون عيني..

المشكلة أن الجوال جودريلا F4667Dj91BBC78-L3 يصير قديماً مخجلاً بعد خمس دقائق من شرائه هكذا تكتشف أن عليك شراء عقرب أحدث كل خمس دقائق . هناك هواتف جوالية

حديثاً تحجز لك مواعيد السفر، وتشترى لك المسجثر والجريدة، وتعد لك الإفطار ، وتأخذ لعيل والدم في مرهة بدلاً منك.. في مصر هناك جوالات تقف في طابور الخبر وتبتاع لك الفول والطعمية صباحاً..

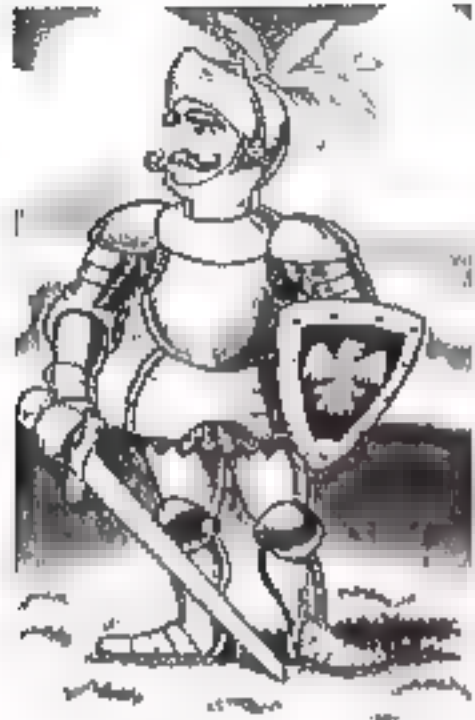
الخلاصة أن الهاتف الجوال صار أقوى مني.. صار التخلص من حياتي أسهل بكثير من التخلص منه، وقد جربت عدة مرات أن أنساه في مطعم في كافيتيريا في مسجد بعد الصلاة وفي كل مرة أمر أن يصيح فتكون حجتي قوية أمام لباس وبفسي، فتوصلت إلى هذه الحقيقة: سرقة الجوال لا وجود لها في العالم . هناك من سيلاحقك جرياً وهو يحمل لجوال، ثم يتوقف لاهثاً وابتسامة على وجهه، والعرق يغمر جبينه:

-الوبائل يا أستاذ!

هناك من يحتفظ به حتى تدخل المصلحة الحكومية أو المسجد مرة أخرى، ليصبح في انتظار وهو يفتح الدرج أو خزانة المسجد:

-ابن حلال!.. لقد سميت الموبائل!

فن إقراض الكتب



لا أعتقد أن أبسي
يرحمه الله قد أقرض أي كتاب
في حياته ، ولو فعل فلأنه كان
يحتفظ بنسختين من ذات

الكتاب.. كان يؤمن أن الكتب أشياء خصوصية جداً مثل الثياب
الداخلية والروحة وبطاقة الهوية.. لا تصلح إلا لصاحبها ولا
يمكن أن تقرأها إلا لو كنت مجنوناً..

كان كذلك يؤمن بأن الأبناء يأتون العالم كي يهددوا
الثروات التي تمسب الآباء في جمعها، ومن ضمن هذه الثروات
الكتب..

لم آخذ كلامه بجدية إلا عندما وقفت أمام مكتبتي التي
هي مكتبته مع إضافات قليلة مني، فوجدت أرففاً بأكملها قد

أمانة تفوق الحد فعلاً، لهذا أدهش كلما سمعت أو قرأت
عن فلان أو فلان للدين ضاع منهم الهاتف الجوال.. كأنهما
يعيشان في عالم خيالي جميع تصيع فيه هذه الأجهزة الكريمة
أما عن تجاهل رنين الجوال فيجانب عليك سخط الجميع..
سرعن ما ينظر لك الجميع في حدة كأسك أحمق أو (مسطول)
وينتظرون منك أن ترد، لو أخروسته لروح يثر كالديور في جيبك
حتى تجد أنك لا تشعر بجانب صدرك أو جانب فخذك حسب
الجيب الذي اخترته، ثم يجذك من كس يتصل ويبدأ بالصراخ
متهماً بك بالوقاحة والتعالي لأبك تجاهلته.

الجوال يمثل ميراثاً الهيد و90٪ من استخدامه يتم في
كلام فارغ، فلا ترع من فضلك أن كل المكالمات مهمة ولا فنحن أمة
من العلماء ورجال الأعمال، نكر أحداً لا يقدر على الخلاص منه.
جرب أن تحاصر في مصعد في منطقة نائية مع أربعة قتلة،
نوبة قلبية توشك على قتلك، بينما تنتظر في الخارج سيارتك
القفقة، ومعك صديق ينزف جرب الجوال وقتها وقل لي إن كان
يعمن أم لا..

خلت من محتوياتها بسبب الإقراض..

معظم الناس يعتبرون أن كلمتي (استعارة) و(أخذ) كلمة واحدة، ولتفرقة بينهما نوع من البريد اللغوي لا مجال له؛ لهذا يقف الواحد من هؤلاء أمام مكتبتي - إذا قرر زيارتي - وتلتصع عيانه بالخطر الجديد: لقد قرر أن يكون مثقفاً فجأة! هكذا يفتقب بين صفوف الكتب وينتقي هذا الكتاب.. وهذا.. وذاك.. فجأة صار مهتماً بأدب أمريكا اللاتينية وتاريخ جائزة نوبل ولتركيب الإداري لجهاز الموسى وفنون زراعة الأرز في الملايو وعلم السيبرنية.. في النهاية يضطر إلى أن يستخدم كيساً من البلاستيك، لدرجة أشعر معه أن الأمر يتعلق بشراء طماطم من السوق لا اقترض كتب..

..لا تقلق.. أن أحافظ على الكتب جيداً.. "

يكررها في كل مرة وهو يتجه لاهثاً إلى الباب حاملاً هذا الكنز ثقيلاً الوزن..

لأن مر شهر وشهران دون أن يعود أي كتاب.. اتصل به لأقول في خجل إنني أطمئن فقط على كون الكتب راقية له. يتساءل

في حيرة: أية كتب؟

في النهاية يتذكر فيبدأ في الرثاء لنفسه لأنه كائن مشغول لا يجد الوقت الكافي ليأكل فبذلك بالقراءة؟.. سوف تعود كتبك.. لا تخف.. أن أحافظ على الكتب جيداً..

شهر.. ثلاثة أشهر.. الآن صرت الكتب حقاً مكتسباً له بحكم القدم، وصرت أتب سمجاً كالبر عيش.. أسأله وأنا أجفأ العرق على جبهتي عن مصير الكتب فيهتر ضحكاً، وينظر لي نظرة طويلة ساخرة قاسية.. لقد تعيرت لنفسك.. لم يعد الإنسان قادراً على تحمل أخيه الإنسان..

أشعر بخجل شديد من نفسي لأنني جرحت سلامه النفسي ولأنني متلهف على كتبتي إلى هذا الحد، بينما لديه مشكل لا تنتهي ولا وقت عنده لهذا السخف..

في النهاية يتحول الأمر إلى وعد لحوج - هو أنا - لا يكف عن تمول شيء ليس من حقه. ويحاول صديقي النبيل أن يعاملني بالاحسن وألا يجرح مشاعري لكنني بصراحة اصعط عليه أكثر من اللازم.. في النهاية ينفجر في:

”هي مجرد كتب.. وأنت لن تفسد صداقتنا من أجل بضعة كتب.. بصراحة لا أذكر أنني أخذت أية كتب منك ولا أذكر مكانها، لكن هذا لا يكفي كي تجعل حياتي جحيمًا!“

هكذا أتلقى درسًا قاسيًا.. لا تضغط على أعصاب الحليم أكثر من اللازم.. الحق إسي سعيد الحظ لكون هؤلاء العقلاء شديدي الحلم أصدقائي..

مؤخرًا جاءني صديق تم انتدابه للعمل في منطقة صحراوية نائية، صديقي هذا طرز آخر من المقترضين.. هؤلاء الذين يقسمون أفعال الإيمان على أنهم أعادوا لك لكتب التي اقترضوها وأنت تؤكد العكس.. وبما أنه لا يوجد إثبات وأنت لم تستكتبهم إيصلاً فربك تبتلع غيظك وتصرخ..

قال لي صاحبي متوسلاً:

”سواء كنت تقبل قراض الكتب أم لا، فعليك أن تقرضني مجموعة محترمة وإلا قتلني الملل أريد مجموعة ممتعة من الروايات..“

رفقت لحاله من ثم انتقيت من مكتبتي رواية (إيفان هو)

للسير (والتر سكوت)، وحجمها يقرب من حجم دليس هاتف الصين، وقلت له إنها رواية ممتعة وسوف يقضي معها أسعد الأوقات.

عندما عاد بعد ستة أشهر أخرج لي الرواية من حقيبته، ومطر لي بعينين جاحظتين وقال:

”إليك روايتك الكابوس!.. لقد قضيت أسود ساعات حياتي معها.. ما لي أما والفارس السبيل فلا الذي يندظر في الغابة قدوم الفارس علال ليختبر ولاءه للملك و.. هذه قصة لا تنتهي!..“

قلت له:

”بالصبط!.. هذا ما قصدته.. لو اقترضت رواية مسلية لانتبهت خلال ثلاثة أيام، بينما هذه الرواية الممتعة اللعينة تحتاج إلى حكم بالمؤبد كي تنتهي منها عرفت أن ستة أشهر ستنتهي وأنت لم تمرغ من أول مائة صفحة بعد أضف لهذا أنني أمقتها ولن يشكل فقدان أية خسارة بالنسبة لي..!“

على كل حال لم يبق في مكتبتي إلا الكتب المملة والكثيثة

رجل غير أناني



هو من أكثر الناس توترًا وخوفًا

من المرض. يتصل بي خمس مرات كل يوم ليسأل عن تلك العقد اللمفاوية التي وجدتها تحت رقبته، أو عن سبب عدم سكتانة ظفر قدمه اليسرى ليمائل اليمنى، أو عن المذاق المر الذي يشعر به لدى شرب القهوة. لو لم يجدني على الهاتف الأرضي يطعنني على الجوال. فإن لم أرد طلب الجيران وأوصاهم بجعلني أريد أحببنا يفعل كل هذا في وقت واحد وأقسم بالله أنه فعلها.. ولكم فوجئت بالجوال يرن والهاتف الأرضي يرن وجرس الباب يرن، فلا أعرف أيهم أهم، فقط لتخبرني جارتني أن فلاك يريدني بالحاح كيف يفعل ذلك؟ هل يطلب رقمي بأصابع قدميه؟. أرفع السماعة فيصيح في رعب:

”أنت تتجاهل الهاتف بينما أنا أحتضرا!.. منذ قليل

فوت قلبي ضربة.. يجب أن تأتي لداري حلاً“

وحامدة الذكر مثل يمانهو وسواها، لهذا وصلت إلى حالة الملام
لعمسي ولم يعد أحد يقتصر أية كتب مني على الإطلاق.. هن
ترعب في اقتراب مجموعة كتب تشرح بالتفصيل تطور صناعة
المطاط في فيتنام؟ لا مشكلة عندي. خذها متى شئت فأنت
صديقي. أنت أخي..

هكذا تعلمت أن أفر منه فراري من الأسد لأن المصابين
بوسواس المرض قادرون على إصابتك بالجنون، على أنه في ذات
يوم أرسل لي رسالة بالبريد الإلكتروني تقول بهدوء:

"هن توجد علامات محبرية على التهاب الزائدة؟"

انتظرت بضع ساعات ثم كتبت له أن نعم. بعد ساعات رد
علي قائلًا:

"زوجتي تعني ألي في موضع لرائدة أفكر أن أجري لها
هذا الاختبار صباحًا.."

قلت له إن هناك مختبرات تعمل طيلة الليل، ثم إن عليه
أن يطلب رأي جراح. بعد نصف يوم عاد يسألني بالبريد
الإلكتروني:

"إنها تفرغ معدتها مرارًا. هل ترى أنها الزائدة فعلاً؟"

جن جنوني. وكتبت أقول له إن الزائدة من الطوارئ
الطبية.. ما زائدة فعلية أن يهرع للمستشفى، أو لا زائدة فليهدأ
ويقر عيئًا. كنت أتوقع أنه فحص زوجته وأجرى لها
الاختبارات العملية اللازمة أمس، لكن هو ذا يوم كامل مر من

دون أن يفعل أي شيء..

بعد خمس ساعات كتب لي بالبريد الإلكتروني إنه
سيجري الفحوص غدًا فقد تأخر الوقت..

هذه المرة رفعت سماعة الهاتف، وانفجرت في سيل من
السباب.. أنت توقظني من نومي وتوقظ الجيران ولا تكف عن
طلب أي رقم هاتف تعرفه، لمجرد أن سلفك الأيمن ليس بطول
الأسر، والآن قد يكون الأمر خطيرًا لكنك لا تريد أن تتكلف ثمن
مكالمة، وقضيت يومًا ونصف اليوم ترسلني بالبريد الإلكتروني
ولم تفعل أي شيء على الإطلاق.. هل تعرف السبب؟

سألني في حيرة:

"ما هو؟"

قلت في جنون:

"لأن المريض هذه المرة ليس أنت.. إنه شخص ليس له
أهمية على الإطلاق.. زوجتك.."

قال لي:



سر الصنعة

مهما كنت أعيش وحدي تعلمت الطهي، وأجدته إلى درجة تشير حفيظة نساء كثيرات. امرأة لا تتحس فكرة أن يستغني عنها الرجل، ثم يجيد عمل شيء أفضل منها. لكن بدأ كل شيء في ذلك اليوم المشؤم الذي عدت فيه للدار حاملاً بعض السمك المشوي، فقابلني جدي الأستاذ (عزام) ومعه زوجته الودود شديدة الظرف والأمومة لمسبب ما تعتقد هذه السيدة الكريمة أن الأعزب في مأزق خطير، ولا مدد من أن يجدوه جثة متعفنة وحده في شقته في أية لحظة. كنت رائحة السمك كافية ليعرفوا أنني أحمر سمكاً.. هنا سألتني الروجة في دعر وهي

.. "فقط شعرت أن الأمر ليس بهذه الخطورة.. لم أرد أن

أجبر لأمر درامية"

.. "أنت تجعلها درامية جديرة بشكسبير عندما يتعلق

الأمر ببقعة خلف أذنك.."

غضب مني كثيراً واتهمني بأنني اتهمه بالأمانية وهو

منها بريء.. لكنني كنت أعرف أنني محق في اتهاماتي وتأكدت

ظنوني عندما راح جرس لهاتف والجوال وجرس الباب يدقون

بلا هوادة في نفس الليلة.. رفعت السماعة فسمعته يصرخ وهو

موشك على النيكاء:

.. "لقد انتهيت!.. كنت أدخل الحمام مرتين يومياً فصرت

أدخله مرة واحدة.. هل تعرف طبيباً بارعاً بجيد علاج سرطان

القولون؟!"

تضرب صدره :

.. "مسكين.. هل ستطهو الأرز بنفسك؟"

وسرعان ما كنت لتتركنا وتقفز داحرج شقتها، ولم يستغرق الأمر سوى ثلث ساعة وسرعان ما وجدت إناء طهي مليئاً بالأرز الساخن يحمله زوجها لي.

أنس ظرفاء.. قلته لنفسي.. وجلست لأكل لكن يا فرحة ما تمت. اكتشفت أن هذا أسوأ أرز ذقته في حياتي. عجين كريه ملهت له رائحة خبيثة وفيه أشياء تتحطم تحت أسنانك. هكذا تركت هذا كله وأكملت وجبتي بالخبر، وأنا أشعر بالحزن لأستي لم أتأخر دقيقة أو أبكر دقيقة.. ما كنت لأقبل الزوجة المتحمة، ولكنت قد أعددت الأرز الرائع الذي أجهد عمله.

في اليوم التالي قبل موعد الغداء وقبل أن أعد الأرز، ظهر الأستاذ (عزام) حاملاً إناء طهي، وقال لي:

- "زوجتي أقسمت ألا تعد أنت الأرز ما دامت في عروقتها حية.. لو سمحت هت إناء أمس"

نم يكن الأرز أفضل حالاً مما كان أمس.. هذه سياسة

متعمدة إنس، وقد شعرت بأرمة صميرية إراء هذا الكرم كله أن وغد شرير لا خلاق له، لكن أرز السيدة كريه جداً كذلك !!!

تخلصت من الأرز في القمامة آسفاً، ونسيت أن جامع القمامة كسول وأن القطط تحب العبث. هكذا في اليوم لتالي رأيت السيدة الكريمة على لدرج، وهي تشير إلى كومة من لأرز المطهو المبعثر على مدخل شقتي، وقد خرج كله من كيس ممروق. تسألني بعيدين شبه دامتين:

.. "لماذا تخلصت من الأرز في القمامة؟.. هل لم يروق لك؟.."

قل الحقيقة.. "

بالضبط بالطريقة التي تلوم بها ممثلات السينما الرجال الذين ضيعوا مستقبلهن. أخبرتها بأدنين محموتين وعيسين زانعتين أنني مجنون بالأرز لدي تعده، وأن هذا لأرز في القمامة هو الأرز الذي أعدته أنا قبل تلقي هديتها هكذا ابتسمت في لطف، ومنذ ذلك اليوم تحولت حياتي لكابوس بسبب إناء الأرز الذي يصل لبيتي كل يوم وقت الغداء صرت أضح لأرز في كيس داخل كيس وأتسلل في الظلام لأتخلص منه في بقعة مهجورة لا



صنعة الكلام

تثير إعجابي جدًا الطريقة التي يفسر

بها الناس كل ما يحدث لهم؛ بحيث ينسبون دومًا أنهم شديدي
النقاء والشفافية وعلى حق دائمًا في مصر يقول المثل الشعبي
(النار متحرقش مؤمن) أي أن الأذى لن يصيب المؤمن أبدًا، وهو
كلام جميل لو تجاورنا عن حقيقة أن قائل هذا المثل يتحدث عن
نفسه دائمًا. بعد قليل تتمسك النار بكم لرجل أو قميصه، فيقول
وهو يدهن مرهم الحروق: (المؤمن مصاب)!

أي أن البلاء يحدث للمؤمن كثيرًا!.. الخلاصة أن الناس لا
تصمت أبدًا.. دائمًا هناك تفسير يثبت أنهم رائعون.

كانت زوجة صديقي تؤمن - بلا سبب - أنها نقية نبيلة
ترفرف بجناحيها، يبيت زوجها - بلا سبب أيضًا - وفد زعيم
لا بد أنه يمت بصلة قريبي لأبي لهب أو أبرهة الأشرم كل

يراسي فيها أحد، كأنني قاتل يدفد رأس صحيته. أظهو الأرز في
حذر حتى لا تنبعث رائحة ما أو يدوي صوت أرز يطهى. لا
أعرف ما هو صوته بالضبط لكنها تعرف - فتسمعه هي ثم
أضيفت لواجباتي مهمة غسل إناء الأرز كل يوم وإعادته لها.
صرت كدوب متسللاً صله الظلال والليل، وتعلمت ألا انظر لأحد
في عينه حتى لا يدرك أنني أتخلص من الأرز ولا آكله بينما
السيدة الطيبة تكرر في كل مكان:

“إنه لا يحب سوى الأرز الذي أعده أنا!!”

لم أتخلص من هذا الكبوس إلا بعد أن تزوجت وفارقت
البيت، وبعد ما كنت أفكر في لهروب من البلاد أو دخول
السجن، لكنها تقص بزوجتي من حين لآخر تدعونا لزيارتها
مؤكد أنها تنتظرني بالأرز الذي أحبه!! طلبت منها زوجتي أن
تعلمها طريقة عم هذا لأرز العبقري فقلت في غموض:

“هذا سر الصنعة يا حبيبتي!!”

نفكيره كان يدور في هذا النطاق.. وعندما أصيب زوجها بمغص كلوي ودخل المستشفى لم تستطع أن تخفي علامات التشفي، وقلت لي بصوت مسموع وهي تقف على باب غرفته:

“الله تعالى يمهمل ولا يهمل.. إنه ينتقم لي من هذا الرجل الذي آذاني كثيراً”

حاولت إقناعها أن المرض يسروح ويحسب لأسباب فسيولوجية.. وحتى الصالحين من الرجال يمرضون، وإلا لكانت لديها قاعدة تفصي بأن كل مريض وغد زيم.. لكنها قالت في إصرار:

“من هو المتقدم إلهي لي”

شفي زوجها وغادر المستشفى. يبدو أنه لم يكن وغداً بما يكفي ليموت، وعلى كل حال سوف يساعدنا هذا على تكريس قاعدة جديدة لديها؛ هي أن أسوأ الأوغاد طراً هم الذين لا يموتون بسهولة.

بعد أسبوع اتصلت بي الروجة لتخبرني أنها تشرب كثيراً وتبول أكثر. لا تنس أنني طبيب. مصحتها بتحليل الدم لمرض

السكري. بعد أيام عرفت أنها مصابة بالداء فعلاً بدأت العلاج. وبعد شهر شعرت بالألم في صدرها فذهبت للطبيب الذي أخبرها بأنها مصابة بضيق في الشرايين القاجية..

طبعاً لا داعي لأن أقول إن ذات الطبيب شعر بشيء غريب في ثديها الأيسر ونصحها باستشارة جراح الجراح رأى أن هذا الشيء مريب وطلب استئصاله لفحصه فقد يكون ورماً خبيثاً.

ذهبت لزيارتها في المستشفى فوجدتها مسرورة جداً.. قالت لي:

“هل رأيته؟.. إن الله تعالى لا يريد لي أن ألقاه بأي ذنب على كاهلي، لذا يخلص ذنوبي بهذه الأمراض، إنه بلاء والسبب هو أنني شاففة نقية..”

ابتلعت ريقاً وقلت في حذر:

“كنت أحسب الأشرار فقط هم الذين يمرضون حسب كلامك..”

قالت بون أن تعني قصدي:

“هناك أشخاص يمرضون لأنهم أوغاد، وأشخاص يمرضون

لأنهم ملائكة..”

..وكيف يعرف الإنسان أنه هذا أم ذاك؟“

الإجابة معروفة طبعاً.. لو كنت أنت، هو أنت فمن المؤكد

أنك نقي النفس رافع، أما لو كنت شخصاً آخر فهذا عقاب سموي

تستحقه بالتأكيد..

جميل جداً.. أحب هؤلاء الناس الذين يهتمون كل شيء

ولا توجد عندهم أسئلة من أي نوع عرفت فيما بعد أنها لا تعاني

ورماً خبيثاً وذهبت أرفق بها الأخبار الطيبة في التقرير، فتهلل

وجهها وقالت:

..”كنت أعرف أنني نقية النفس ولا يمكن أن أصاب

بالسرطان أبداً“

سألتها وأنا اضغط على أعصابي:

..”حسبت المرض يطهرك من آثامك، وأنت سعيدة به..

دعك من أن معنى كلامك أن لأشعر فقط بحسابون بالسرطان وهذا

كلام فارغ“

راحت تبحث عن منطق يخرسني فلم تجد.. في لهدية

ضاق صدرها وبدأت تتوتر، وقالت لي:

..”ألا تجد ما يشعلك في الحياة سوى أن تحرق دمي وترفع

معدلات السكري لدي؟“

قلت لها وأنا أخرج من الباب:

..”نعم.. هناك أشياء كثيرة تشغلني، ومن بينها كتابة هذا

المقال.. يمكنك كذلك أن تصيغي اسمي إلى مقدمة المصائب التي

يجب أن تواجهيها لأنك شديدة الظهور والنقاء..“

وأغلقت الباب قبل أن تحلفني لسبة التي أطلقتها..

فاصطدمت السبة بالباب وسقطت على الأرض.

خدمة واحدة فقط



صديق عزيز هو ذلك الشاب

المنهذب من قرشي، وقد بدأ بدوره

ينزوي على نفسه كدودة لقر لينسج شريكته الأدبية الأولى هذه لحظة آتية حتمًا لن يأكل الكثير من ورق التوت. أقصد من يقرأ كثيرًا في النهاية أرس لي مجموعته القصصية مع طلب أن أكتب لها المقدمة، وهو شرف عظيم لي..

بعد قليل اتصل بي صديق آخر يطلب أن أكتب له مقدمة ديوانه الشعري فعلت ذلك بكل سرور. وفي ذات اليوم تلقيت طلبًا لكاتبه مقدمة لكاتبين من المقالات القصيرة.

الآن أنظر حولي فأكتشف أنني كتبت عشرين مقدمة لكتب بعضها لم أقتنع به قط، وهذا يجعلني متحسمًا للأبد. أنبههم بجنون بكل كلام مطبوع مهم كان، كأني (جوتنبرج) نفسه وقد

عاد للحياة هذا ببساطة يجعل المقدمة التي أكتبها بلا قيمة، لأنني موجود في كل مكان، حتى صارت مقدمتي شيئًا يشبه علامة الترقيم الدولي *ISBN* يصعب أن تمنح كتبًا ولا تجددها.

لكن ماذا عن الاعتذار؟ هذا وارد، لكن لشكبة هي أنني أعرف ألف واحد وكل واحد منهم لم يطلب مني سوى طلب واحد في حياته كلها.. لم يثق علي ولم يطلب الكثير. معنى القبول أن أكتب ألف مقدمة. إن الرفض فظظة لا شك فيها، لكنني رفضت بعض الطلبات وكرهت نفسي وشعرت بأنني شيطان مغرور متحذلق.

نفس المشكلة تتكرر مع الحوارات الصحفية. هنالك دومًا من يتصل بي ليقول إنهم أصدروا مجلة جديدة أو كونوا جمعية أدبية جديدة، وهم يرغبون في أن يجرؤوا حديثًا صحفي معي. هنأصارحك بسر خطير هو أنني إنسان ممن جدًا، وليست لدي أشياء مثيرة تقري الحوار.

هكذا يبدأ الحوار وهو معروف لأنني أجريت مثله ألف مرة: ما علاقة الطب بالأدب؟.. لماذا تحب السخرية في كتاباتك؟..

لماذا لا تتجه لعالم السينما؟..

الردود هي الردود ذاتها. وفي النهاية أجد أنني قلت نفس الكلام في ألف مجلة وأنني موجود أكثر من اللازم، وأبني لو فتحت لثلاجة لوجدت حواراً معي.. لو فتحت الموقد لوجدت حواراً آخر..

من جديد تتكرر مشكلة أن كل واحد من هؤلاء الأصدقاء لم يرهقني بالطلبات. هذا هو الشيء الوحيد الذي طلبه مني في حياته كلها، فكيف أرفضه؟

تذكرت حفل زفافي مدد مائتي عام. كان الموقف شبيهاً بهذا. هناك فرق تدق لدفوف للمعوسين أئماء الموكب وتتقاضى مبلغاً باهظاً، فلو أردت أن تنقش قبيل لك إنها ليلة واحدة في العمر.. فهل تبخس على ليلة كهذه؟

قصة الزفاف بهيئة الثمن لكن لا داعي للمناقشة لأنها ليلة واحدة في العمر.. ما لم تكن عزمًا على الزواج بأكثر من واحدة، وهو ما لن يخطر ببالك طبعاً وأنت تنفق كل هذا المال..

هناك فرقة ومطرب مشروح الصوت.. أجبرهم عال جداً..

لكن تذكر أن هذه ليلة واحدة في العمر فلماذا لا تنفق بسخاء؟

عندما انتهى الحفل، تذكرت أن هذه أشياء تحدث مرة واحدة في العمر بالنسبة لي، لكنها بالنسبة لهؤلاء لقوم أسلوب حياة. أي إنهم يعيشون وسط عرسان ينفقون بسخاء لأنهم مرة واحدة في العمر!

عندما يطلب كل واحد من أصدقائك طلباً واحداً، فهو لن يتكرر، لكن هذه صارت طريقتك في الحياة وإلى الأبد..

إما أن تقبل وتتحول إلى شيء ممل يراه الناس في كل مكان لدرجة أنهم لا يلاحظونه، أو ترفض وتقبس كل لاتهمات بالعظاظة والغرور وقلة الذوق.. هل فهمت الورطة التي يجد المرء نفسه فيها؟

والآن أنهي هذا المقال مع الشكر، لأن هناك مقدمتين لكتابيين يجب أن أفرغ منهما حالاً!

لأنك رجل متعلم



أنت رجل متعلم يا (صلاح)..

تقرأ كثيراً وتضع هويذات سميقة،

ولا يراك أحد إلا ممسكاً بكتاب سميك عن

(إرهاصات ما بعد الحداثة في أدب جويس). يعرف أهل قريتك

أنك ظهرت في تلفزيون مرتين، وكان المذيع يكلمك باحترام في

شارحك يعرفون أنك رجل متعلم وأنت حاصل على درجة الدكتوراه

في شيء ما.

يقول الناس إن عقلك كبير، لهذا دقت تلك السيدة بابك

ذلك المساء لتسألك في احترام:

ـ "لبي أخوان.. واحد ليس من ذات الأم، وهناك بيت توفي

أبي وتركه لنا، لكنه أوصى بربع البيت لأخ ثالث ليس من نفس

الأم، والأخ باع الجزء لأخي من الأم. كيف يتم تقسيم هذا

الميراث باعتبارك رجلاً مثقفًا؟"

طبعاً لم تفهم شيئاً لذا أوصيتها بأن تسأل خبيراً في

الميراث الشرعي أو مفتياً لكذلك لم تسترح لمطربة خبيرة لأمل في

عينها وهي ترحل.

في العاشرة مساء تدق بابك تلك الحجرة ومعه طفلتها التي

تحولت إلى ثمرة شليك (فراولة) وحرارتها تصلح لإنضاج اللحم

تسألك في جرع عما إذا كانت هذه الحمى القرمزية أم الحصبة..

تقول لها في زهر أن عليها أن تطلب رأي طبيب..

ـ "حسبك سوف تعرف.. فأنت رجل متعلم ومثقف"

إنها تتناسى أو تنسى أن الدكتوراه التي حصلت عليها

أنت كانت في علم (معاني الألفاظ) وليس في أمراض الأطفال تغلق

الباب لتكتشف أن صبور الحمام ينرف الماء بلا اللطاع..

تطلب منك زوجتك أن تستبدل (جلدة) الصنبور، لكذلك لم

تعمل هذا قطو ومن المستحيل أن تفعله الآن.. تسألك زوجتك في شك:

ـ "أنت رجل متعلم وبرغم هذا لا تجيد تفسير جلدة

الصنبور؟"

هذا صحيح.. لم يعلموك هذا في كلية الآداب. إنهم مهملون

فعلاً

مهندس تزور قريبتك يلتفت حولك الملاحون في احترام
واجبال، ويسألونك عن أفصل طريقة لتسميد الدرة، وعن طريقة
مكافحة داء صدف القمح، ويأخذك أحدهم للحقل ليقول لك في
حرف:

"هل ترى؟"

تنظر إلى الأرض الذي لما وصار في أفضل حال، فقتساءل عن
المشكلة.. الأرض في حال ممتازة

"لكن هذا ليس أرز، يا دكتور بل هو كرنب.. بما أنك
متعلم فتد حسبتك تعرف أنواع المحاصيل.. الكرنب لا ينمو كما
ينبغي."

تطلب منه استشارة مهندس زراعي فتنبو عليه خيبة
لأمر.. ليكن..

هنا يأخذك أحدهم ليمرض عليك مشكلته في تقسيم
الأرض، فالحوض البحري يتداخل مع الطريق الأسفلتي ولا يمكن

حساب مساحة الأرض لا يطرح هذا الشريط، بيده الجرس القبلي
ترتفع به نسيه الأملاح فما رأيك؟.. طبعاً يصاب بدهول عندما
يدرك أنك لا تفهم أي شيء على الإطلاق، وسار حله يقول: ما
الذي يعلمونه لهم في المدارس إذن؟

عندما تعود للمدينة وتدير محرك سيارتك تجد أنه لا
يدور. تجلب الميكانيكي فيفحص السيارة ثم يأخذ رأيك:

"هل ترى أن تقوم بتنظيف التاكيهات أم نقوم باستبدال
بيك السيالنسيه؟"

"يا أخي القرار لك لو كنت أعرف لفعلت بنفسي ولما
طلبتك"

"أنت رجل مثقف ومتعلم لهذا أستاذك برأيك.. أنا
حرفي جاهل يعتمد على حدسه لا على العلم"

"قم بتنظيف التاكيهات.."

"هذه مشكلة.. إن بيك السيالنسيه في حال سيئة.. كنت
أحسبك ستطلب استبداله"

يزداد الأمر سوءاً عندما يطلب موظف مخضرم رأيك في مشكلة إدارية

”المادة 76 من قانون العاملين تحتم وجود لجنة من أعضاء مجلس الإدارة للبت في التظلمات قبل نهاية السنة المالية، بينما تتعارض معها المادة 81 التي تمنع ذلك لو أنني تمسكت بالمادة 81 سوف يكون بوسعي رفع قضية مضمومة الفور على الوزير شخصياً، لكن هل تضمن لي ألا يستنصر المادة 117 التي تمنحه صلاحية لبت في قرارات اللجان؟“

”لا أدري..“

”هذه غريب، حسبت أنك ستفيدني بما أنك رجل مثقف.“

في النهاية تدرك أنك رجل مثقف لكن ما تعرفه لا يهم أحد، على الإطلاق، ولا يصلح البتة لممارسة الحياة شديدة التعقيد أنت كخبير معدلات نووية في مصنع عطور، علمك لا قيمة له هنا ولا أحد يريد..

تصاب باكتئاب شديد حتى عندما يقصدك هذا الشاب

ليمالك عن شيء، فتقول له في حدة:

”لا أعرف.. لا أملك أية خبرة تسمح لي بالإجابة عن هذا

السؤال “

هنا يقول الشاب في حيرة وهو يجمع أوراقه وينصرف:

”كنت أريد سؤالك عن إرهاصات ما بعد الحداثة في أدب

جويس. غريب هذا حسبت أن لإجابة عندك يا سيدي بما أنك رجل مثقف!“

البنسات الثلاثة



عرض علي صديقي
(مراد) أن أقرأ رائعة
برخت (البنسات الثلاثة)

التي تعرض كثيراً باسم (أوبرا الشحاتين)، فلم أتحمس للأمر
كثيراً، وعدته بأن أفعل لكنني نسيت الوعد بعد ثلاث دقائق، وقد
تكرر هذا كثيراً.

ذات يوم اتصل بي (مراد) ليخبرني بأنه في ورطة هناك
مجموعة من الجداول ينبغي تنسيقها وهو لا يجيد هذه الأعمال
التي تحتاج إلى دقة. إنه أخرق وموهبه شبه معدومة، ثم انخرط
في وصلة من سباب للناس حتى كاد يبكي:

.. "أنا معدوم المواهب ضعيف القدرات.. من المعجزات

الحقيقية أن يظل من هو علي شاكلكي حياً حتى من الأربعاء "

ضحكت كثيراً وذهبت لبيتها، وجلست أشرب الشاي
وأنسق هذه الجداول التي لا تنتهي. بعد قليل جاء صديق آخر
اسمه (كمال).. قال لي مراد:

.. "إن صديقنا (كمال) مترجم وإنجليزيتة لا تختلف عن
إنجليزية (تشرش)، لذا طلبت منه أن يساعدني في ترجمة هذا
النص.. تباً لي ولإنجليزيتي.. إن الكنيس الذي يقدس الشرع
يجيد الإنجليزية أفضل مني.. "

وجلس كمال ممسكاً بكتاب سميك وراح يكتب الترجمة
في مفكرة صغيرة. هنا نظر لي مراد متسانلاً:

.. "هل خطك جميل؟.. أريد تبيض هذه الترجمة، لكن
خطي قبيح جداً.. "

اعتذرت بأن خطي سيئ، هكذا قرر أن يطلب معونة صديق
له يدرس في مدرسة الخطوط.

بعد يومين اتصل بي مراد وسألني عن عرض تقديمي

للكمبيوتر يتحدث عن معدلات البطالة في العالم العربي، فقلت
إسي لا أملك واحدًا وطلبت منه أن يبحث في شبكة الإنترنت عن
معلومات معقولة ثم يعد عرضًا تقديميًا..

- "هل يمكنك عمل ذلك؟.. أنا لا أجيد البحث في شبكة
الإنترنت كما تعلم.."

هكذا جلست أمام جهاز الكمبيوتر وبحثت أبحث عن
معلومات عن البطالة في العالم العربي وأرسلته له. بعد قليل
اتصل بي يقول:

- "وماذا عن العرض لتقديمي؟.. أنا لا أجيد عمل هذه
العروض.."

لا بأس.. هذا صديق في ورطة وعلي أن أساعده.. جلست
وأعددت له عرضًا تقديميًا لا بأس به وأرسلته له، فاتصل بي بعد
دقائق مبهوتين وقال:

- "لا أستطيع فتح الملف.. أرجو أن تعد لي العرض على
أسطوانة وسوف آتي لأخذه"

بعد نصف ساعة جاء لداري فطلب مني أن أقوم بحذف

الشريحة الثالثة والسابعة لأيهما غير منسيتين هنا قلت له في
شك:

- "ألم تقل إنك لم تستطع فتح العرض؟"

- "هلي.. لكنني أرجو أن تحذف هاتين الشريحتين"

هكذا جلست أمام جهازي وحذفت ما طلب، هنا قل لي
بلمحة مقبولة:

- "الوقت ضيق وعلي أن أقدم هذا العرض غدًا أنت أعددت
أربعين شريحة فلا تحسب أنني قادر على استيعابها.."

قلت في غيظ:

- "لا أظنك ستطلب مني أن أقدم هذا العرض بنفسك كذلك"
- "وددت لو فعلت، لكنني أطمح في أن تلخصه لي في ورقة
واحدة أطلعها قبل النوم.."

قامت بما فعل. وعرفت فيما بعد أنه اتصل بصديق له خبير
في الكمبيوتر كي يجري تعديلات مهمة على العرض، كما قام
بإدخال مؤثرات مبهرة وأعمدة تتحرك.. الخ..

بعد يومين اتصل بصديق لنا مهندس، وطلب منه أن يساعده في إصلاح السيارة لأن خللاً عاصباً أصابها وهو لا يفقه شيك في الميكانيك. قال له إنه بلا موهب ولا قدرات، وأنه مندهش لأنه ظن حياً حتى هذه السن.. ضحك صديقنا المهندس وهرع يلحق به ليقضي يوماً كاملاً مع السيارة.

بينما كان المهندس يغسل يديه في الحمام أخذ مراد رأيه في صبور لقطس لذي يخطط الماء الساخن بانبارد حتى لو لم ترد ذلك، هكذا وجد صديقنا نفسه وقت في لقطس ممسكاً بمفتاح في يده يحاول إصلاح الصنبور..

هنا خطر لي خاطر مفاجئ.. صديقي هذا ليس معدوم الموهب بل هو عبقرى.. به يملك موهبة السمار أو مقاول الأندر أو منتج السينما يعرف كيف يأخذ من كل إنسان أفضل ما فيه، وفي النهاية هو لا يدفع شيك سوى بعض السباب لنفسه وعبارات لشكر لصاحبه لسبب ما قررت أن أقرأ (البسات الثلاثة) كما طلب مني مراراً. قرأتها فوجدتها تحكي في نهايتها كيف أن كل إنسان في لأرض جاء الدنيا ومعه ثلاثة بسات.

بسات الثري الثلاثة هي لفقراء إبتهم رأس ماله يعصروهم ويأخذ منهم ما يشاء ليردد شراء لا بد أن هذه القصة أثرت في صديقي كثيراً. بسات مراد الثلاثة هي نحن أصدقائوه، وهو يعرف جيداً كيف يعصرون وكيف يأخذ من كل شيء مقابل بعض عبارات الامتنان.



طريقك إلى النجاح

اعترف أن أهم تقدم حققته الطباعة في تاريخها هو سلسلة الكتب التي تعلمك كيف تدجح في الحياة بدءاً الأمر في طموحتي بكتاب (دليل كارنيجي) الشهير (دع لقلق واستمتع بالحياة)، ولعله أشهر الكتب غير لسموية وأكثرها توزيعاً. ثم انتهت اكتب المماثلة على ريدوند، ومؤخراً صارت هناك موصلة اسمها (التنمية البشرية) و(البرمجة اللغوية، الحركية).. لا. (البرمجة للعوية العصبية).. لن أستطيع أبداً ذكر اسمها بشكل صحيح، ولهذا أكتفي باختصار *NLP*..

العالم كله مهتم بهذا الموضوع باستثنائي.. لا بد أن تقابل هذا لصديق أو ذاك ذهباً لحضور محاضرة في هذا الشأن، أو تلقاه

ناهباً لإلقاء محاضرة عنها يسألوني: لست مشتركاً في دورة من هذا النوع؟.. فأقول أن لا. ينظرون لي في دهشة وحيرة.. لهذا السبب أنا أسمر مجعد شعر الرأس، لي كرش وثقيل الظل. لهذا السبب فشلت في حياتي فلم أمتلك عدة قصور في باريس ولندن.. لهذا السبب لم أتزوج (مونيك بلوشي) أو على الأقل (اليس).. لهذا السبب أمرض وسوف أموت.. لأنني لم أدرس هذا العلم مثلهم..

هناك كتاب شاع بين الشباب مؤخراً ولن أذكر اسمه حتى لا تكون دعاية له، لكنهم قالوا إن كل أسرار الذبح موجودة فيه.. قرأت عرضاً لهذا الكتاب فوجدت مؤلفته تقول: "يجب أن تجد سر النجاح في نفسك.. أنت كذلك يمكنك أن تدجح.."

كلام جميل جداً، لكن منذ متى لم أقرأ هذه الكلمات في كس الكتب المماثلة منذ كنت في المدرسة الابتدائية؟.. باختصار: أن كسول جداً ولا أبحث في نفسي بما يكفي.. وربما أجد عالم ذرة هب أو عالم فلكياً هناك.. وربما لو بحثت في فروة رأسي جيداً لوجدت موسيقراً عالياً.. صدقني أنا بحثت كثيراً جداً في سن التاسعة من بذور الفجاح، ووقعت أمام المرأة وطلبت من أمي أن تمتش فلم تجد شيئاً..

فشئت تمامًا في أن أجد في نفسي بذور النجاح التي تحدثت عنها المؤلفة، لكن كل مؤلفي هذه القصص يصرون على أن الأمر سهل. كل ما عليك هو أن تدرس كيف نجح الآخرون، ثم تصير مثلهم. كل ما علي هو أن أمتلك أصابع وأذن (موتسارت) أو خلايا مخ (أيمشتاين) أو براعة (أنثوسي كوين) في التمثيل، ولمسوف أصير رائعاً..

كما قلت أنا أقرأ هذه الكتب منذ أربعين عامًا، فمن الذي نجح بعد قراءتها؟ للأسف لا أذكر مثالاً واضحاً. هل هناك طبيب لامع أو مهندس موهوب أو موسيقار عبقري أو أديب شهير قال إنه مدين لهذه الكتب بما هو فيه؟ فقط أعرف أن (ديل كارنجي) نجح. كتب (العادات السبع للأشخاص الأكثر فعالية) حصد مؤلفه ستين كافي الملايين. مبتكرة البرمجة لعصبة اللعوبة حصدا المبيعات. إذن طريقة النجاح بهذه الكتب هو أن تؤلف كتاباً وتمطي دورات عن طريقة النجاح هكذا تنجح فعلاً هؤلاء المؤلفون بحثوا عن بذور النجاح في أنفسهم ووجدوها.

هكذا قررت أن أبتكر مدرستي الخاصة للنجاح.. سوف أؤسس مدرسة اسمها (الحرطة الجينية للنجاح). وسوف أعطي محاضرات في كل أرجاء لعالم العربي بسعر 300 دولار للمرد سوف أعلن أنني حاصل على دكتوراه من جامعة (برختمسجاردن) وأدعو الله أن تكون هناك جامعة في برختمسجاردن فعلاً. طريقتي تنص بالتالي 1- كل واحد يمكن أن ينجح 2- النجاح ليس هو الهدف بل النجاح هو الأسلوب 3- أقصر طريق للنجاح هو أن تكتب كتاباً عن أقصر طريق له.

هل فهمت شيئاً؟.. لا؟ لأنك لم تتلق الدورة ولم تدفع 300 دولار، فلا تتوقع أن أشرح لك هذه الطريقة المعقدة في هذا المقال القصير. سوف يكون هناك كتاب سميك مليء بصور ملونة بها أسهم وخرائط تدقق معلومات.. الخ.. يمكنك أن تشتريه كذلك لكن هل يوجد ملحق ثقافي لبرختمسجاردن في بلادنا؟.. بما أنني منحوس فعلي أن أتأكد من أن برختمسجاردن لن ترفع علي قضية.. وبهذا أكون قد فشلت قبل أن أبدأ 11

”نعم“

عندها توشك على الجنون، وتبحث وتبحث إلى أن تجد
كدمة صغيرة بحجم رأس الدبوس خلف أذنه، فتصيح في تنصر
لائمة الأب أو الخال أو العم:

”لقد آذى نفسه ! . كنت أعرف أنك ستفسد الأمور في
غيابي.. هذا الصغير لا يستطيع الحياة لحظة واحدة من دوسي
ولو لم أعد في الوقت المناسب لذهبت لأراه في العناية المركزة
بالستشفى!“

نفس الشيء ينطبق على المديرين الذين يتغيبون عن العمل
لبضعة أيام، ثم يستشيطنون غيظاً عندما يكتشفون أن كل شيء كان
يسير بدقة الساعة في غيابهم . هذا يثير جنونهم.. لا يرضيهم
إلا أن يعودوا ليجدوا أن الخراب عم كل شيء . إن انتظام العمل
ورفته إهانتان قويتان لهم . معسى هذا أنه لا لزوم لهم وأهم
يتقاضون رواتبهم على سبيل الصدقة.

من الأشياء الأخرى التي تشيخ جسدي أمثال الموقف



أنا شديد الأهمية

شعور طبيعي هو أن تحتاج لأن
تحس الأهمية.. إنه ذلك الشعور اللذيذ
بأن الكون سوف يتوقف عن الدوران من
دوننا وأن الشهب ستخترق أغلاف الجوي، وأن فيضان النيل
سيتوقف..

الأمهات جميعاً - كمثال - يملكن رغبة كاسحة في
التدخل في كل شيء يخص أطفالهن.. لا تقبل الأم أن يمارس الابن
حياة هي ليست فيها. من دونها سوف يتحول الطفل إلى لحم
مفروم تذروه الريح، أو إن كس حسن الحظ يتحول إلى سفاح أو
لص.. معظم الأمهات يشعرن بضيق خفي لو سافرن وبعن فوجدن
أن أبناءهن بخير . هن لا يقلن هذا صراحة، لكنك ترى لمسة
خبيثة أم على وجوههن.

”هن رتببت غرفتك وغسلت وجهك وواظبت على

ألزايمر مصغر



في العام 1907 وصف
الطبيب الألماني (آلوا ألزايمر) مرضاً
غريباً يؤكد وجهة نظره في أن
الجنون والفسان مرضان كيميائيان.
وصف حالة امرأة شابة لا تعاني

خرف الشيخوخة لكنها بدأت تجد عسراً بالغاً في تذكر الماضي
والأحداث القريبة والوجوه . ثم صار انتقاؤها للكلمات أصعب،
وصار من العسير أن تذكر كيف تلبس ثوبها أو تنفس وجهها.
أصف لهذا بعض التصرفات الاجتماعية غير اللائقة وبعد موت
المرأة وجد علامات مميزة للشيخوخة في المخ. هكذا عرف لعلم
اسم داء (ألزايمر) الذي يصير كل إنسان على أنه مصاب به، ويصر
كذلك على أن (ال) في بداية الاسم أداة تعريف، لذا يقول لك في
ثقة: "أنا مصاب بـ زهايمر شديد".

لنالي. في عدلي يكلموني بتصميم جدول شهري بالغ التعقيد
على جهاز كمبيوتر، يستغرق مني ثلاثة أيام تقريباً جاء اليوم
الذي ثرت فيه وتمربت وأعلنت أنني لن أصمم هذا الجدول ثانية
لأن هذا ليس عملي.. قبل المدير الأمر بسهولة أثارت دهشتي..
ظلمت أنتظر نتيجة هذا التمرد الذي قمت به فلم يحدث شيء.. لم
يهتز العالم ولم تسقط الإدارة، ثم عرفت أن زميلاً لي كلف بهذه
المهمة.. سألته عما إذا كان قد أنجزها، فقال بلا مبالاة:

"بالطبع.. استغرق الأمر ساعتين لكن النتيجة ممتازة!"

وهكذا ستمر رميلي في تصميم الجدول شهرياً بلا مشاكل
من أي نوع معنى هذا أنني كادب مدلل عندي كنت أزعج أن هذا
لجدول يكلفني لا أطيق، أو أنا أحمق..

نعم.. نحتاج أحياناً للشعور بأننا مهمون جداً.. فهذا هو
المهر الوحيد الذي ننظر في المرايا ونرى أنفسنا!

لا أعتقد أن لأمر بلغت معي هذه الشدة، فما زلت أنكر
عمور بيتي وادكر أنسي متزوج وأب (برغم أن سيار هذا قد يكون
لطيفاً أحياناً)، نكر فيما عدا هذا لا يمكن. لقول إن ذاكرتي على ما
يرام..

مذت الأفكار تتوارد على ذهني طيلة اليوم. تتوالت
كالبزغيت بلا توقف. بعضها رائع فعلاً.. أنتهي من هذه المكالمة
التهتية أو تنك أو أفرغ من هذه الوجبة، ثم أحضر مفكرتي
الصغيرة وأخذ نساء عميقاً لأدون هذه المعركة.. أية فكرة؟.. لقد
تبخرت تماماً. أحاول أن استرجع الخيط بالقلوب فلا أفلح في أن
أجد الخيط ذاته..

لقد نسيت الفكرة.. أية فكرة؟.. نسيتها.. بعد نصف
ساعة أنسى تماماً أنني نسيتها..

المشكلة ترداد سوء مع الأحلام. يبدو أنني كنت أحمل
بذرة عبثي من طراز (إلياس هاو) أو (كولدرج) ممن يجدون
أفضل الأفكار أثناء النوم، لكنني فقدت هذه البذرة للأسف في
ظروف غامضة. أصحو من نومي متبهرًا متلاحق الأنفاس وأمسك

بالقلم لأدون هذا الحلم الذي رأيته.. أي حلم؟..

عندما يتكلم صاحبي أجد تعليقات مهمة جداً وممتعة جداً
على كلامه، لكنه للأسف ممن يثرثرون.. هكذا صمعي له في
صبر.. في النهاية يسألني عن رأيي فأقول في يأس. نسيت!.. طبعاً
لن أحدثك عن وفعتي البلهاء في لسوبر ماركت أحاول تذكر لما
دخلته. عشرات العمال يسألونني عما أريد فأهز رأسي. ابتاع
لحمًا وجبنًا وخبرًا ومطعمات وسجائر وخضراً ومطر جو ثم
أعود للبيت لتسألني زوجتي "هل تذكرت شراء الملح كم طلبت
منك؟"

هذا المقال ليس مخصصاً للسخرية، بل هو يهدف لشيء
مهم جداً.. هذا الشيء هو.. هو.. نسيت طبعاً. أكرر عتداري
وأتمنى لك يوماً سعيداً..

إتهام



يجلس الرجل جوارى في سيارة

الأجرة، والتي تقطع أحد شوارع القاهرة البرحمة. يمسك
بشطيرة مليئة باللحم، و لدهن يوشك على أن يسيل منها ليغرقنا
جميعاً حتى الأعناق. يقضم منها في كفاءة يحسد عليها.

هنا يذق جرس الهاتف المحمول فيمد يده الملوثة بحذر
ليأخذها.. ثم تسمع المحدثه:

”نعم.. نعم.. أنا في الطريق.. منذ قلت لي هذه الكلمات
القسية وأنا لا أنام ولا أأكل.. أقسم أنني لم أذق طعم الزاد منذ
ثلاثة أيام“

ويمسح قطرات الدهن على شفاهه السفلى، وينظر لي بعين
نارية مهددة . لوين لن يعترض لكى فعلاً معجب بشهية هذا
الذي لا يدوق طعم لراد.. إنه يواصل الكلام.

”أنا في الإسكندرية . أقسم أنني في شارع صفية زغلول

سوف أكون عندك خلال ثلاث دقائق.. لا تقلقي أبداً..“

أنظر إلى شوارع القاهرة المحيطة بب وأتمهد. هو رجس
دقيق كذلك . في الإسكندرية وفي شارع صفية زغلول، ترى هر هي
زوجة غاصبة أم شريكة عمر تطالب بمستحققاتها المالية؟.. وماذا
ستقول عندما تكتشف أنه لن يكون عندها بعد ثلاث دقائق ما لم
يطر في الهواء طبعاً؟

يمشي الرجل المكالة وبلا أدنى ذرة من التردد يواصل
التهام الشطيرة لدسمة خطر لي أنه يتمتع بضمير صاف فعلاً..
كل هذا الكذب وأمام شهود يعرفون كم هو كاذب، وهو يملك
صداقة تسمح له بأن يفرس أصابعه في عيوننا لو اعترضت .

نقد رأيت موقف الكذب على الهاتف هذا كثيراً، وفي آخر
مرة كان الغنى يكلم حبيبته على الهاتف وهو يمسك بيد حبيبته
الأخرى!.. أعتقد أن الهاتف الذي ينقل صورة لتكلم سوف
يجلب متاعب عديدة على أمثال محترفي الكذب هؤلاء، لكنني لن
أدهش لو ظهرت تقنيات كذب جديدة تناسب لموقف . سوف



حياة ضاعت

فنانون رائعون هم أولئك الذين يقومون بتأليف ورسم
مغامرات (دونالد دك) التي تنتجها شركة ديزني، ومن الغريب
أن أهمهم كوبيون وليسوا أمريكيين أو أوروبيين. بالنسبة لك
معشر العرب ليس (دونالد) سوى بطوط البطة المشغية الغيور
العصبية الظريفة. في إحدى تلك القصص التي تقترب من لأعمال
العلسعية الراقية، ينتقل بطوط بعالم مواز غريب.. في هذا العالم
يكتشف كرة.. يكتشف حذاء قديماً. يكتشف قطعة صغيرة.. كلها
أشياء ضاعت منه في طفولته ولم يجدها قط. وهنا يدرك الحقيقة.
هذا العالم العجيب هو العالم الذي تخنفي فيه تلك الأشياء التي
ضاعت منا ولم نجدها!.. حتى الجوارب التي تصبغ في الغسالة
فلا تجد سوى فردة واحدة منها موجودة في هذا العالم!

تأمل روعة هذه الفكرة.. تأمل ما فيها من إمكانات

تباع حفيات جدارية تمثل شوارع الإسكندرية ليلصقها وراء
أثناء الكلام، وسوف يكون هناك ممثلون يقومون بدور مائة
الكوربيش في الإسكندرية، وربما تدح المخرجون ليستعملوا
حين الكروم بحيث تبدو أمواج البحر حية بقطعة وراء ظهره
وسيكون هناك فنانو ماكياج يضيفون على ملامحه لمسات تجعله
يبدو مرهقاً مسهلاً ناحلاً.

إن لكذب يتطور مع الزمن ليتحول إلى فن من الفنون
الراقية، علينا أن نفهم هذا قبل فوات الأوان!

ساحرة..

عندما أفكر في وجود عالم كهذا، أتذكر على الفور أنني سأجد فيه مليوناً من الجذبيات.. كن الجذبيات التي ضاعت مني في المدرسة ولم أجدّها. هناك بالتأكيد مليون قلم ومليون مسطرة.. هناك أكثر من بطاقة هوية ورخصة قيادة سيارة هناك جبل من الفاتيح..

هناك فتاة رفيقة حزينة العينين قالت إنها تحبني ثم خفت للأبد، وقيل إن أهلها هاجروا إلى أستراليا، لكنّها بالنسبة لي ضاعت في ذلك العالم الذي لا يعود منه أحد..

ولماذا أكون ضيق الأفق؟.. هناك جبل من الأحلام في ذلك العالم. هناك نهر جدر من القصائد التي بدأتها ثم نسيت أمرها ولم أجد لأوراقي لتي دونت عليها البيت الأول. حياة كاملة ضاعت مني.. وسوف أجدّها في ذلك المكان. إن الأمر يتجاوز بكثير العثور على بعض الكرات وبعض الأقلام الضائعة.. حتى هذا المقال لقصير كتبتّه بشكل أفضل، ثم نسفّه الكمبيوتر نفساً. لا بد أنني سأجد المقال الأول الأفضل هناك..

وماداً عن ذلك الصبي المرح المليء بالحماسة والذي يريد أن يعرف كل شيء ويهمهم كل شيء ويصير كل شيء.. إنه أنا.. سوف أجدّه هناك بالتأكيد في ذلك العالم لسحري فقط دلوني عليه..

إنبهر مرة واحدة!



قالت لي زوجتي إسي و(مختار) طفلان يفتقران للضحك، مكثي لا أستطيع أن أقاوم رغبتي في استغزازه.. المشكلة هي إنك بحاجة دائمة إلى شخص يندهش أو يصغي بتجربتك الغريبة باعتباره تجارب غريبة. لكن الشخص الذي يؤكد دائماً أنه رأى ما هو أغرب شخص يثير الأعصاب فعلاً لا أقرأ ألف ليلة وليلة عندما تقول شهرزاد: "وما هي بأغرب من قصة الحمال والمتميت الثلاث.. الخ" إلا وأتذكر (مختار). هذه كلمة جديدة به.

أحكى له عن السيارة التي انقلبت بي من على الجسر فسقطت فوق شاحنة، من ثم قذفها لاندفاع إلى أعلى لتصطدم بأسلاك الكهرباء، وهذه الأسلاك حملتها إلى التربة حيث جرفتها لأمواج واصطدمت بمركب، فطارت ثانية لتستقر على

عجلاتها. فبهز رأسه في حكة ويقول "ما حدث لي أعرب. لقد طارت سيارتي لتصدم طائرة وهذه لطائرة حملتها إلى بلد آخر، ثم جاء طبق طائر أعادني إلى نفس الموضع الذي كنت فيه"

أقول له إنني أحتفظ بإصبع من يد (جيسر) فيؤكد لي أن عنده باقي اليد. هكذا أضطر إلى التمادي والمبالغة إلى درجة أنني تحولت إلى كذاب كامل النضج لا ينقصه شيء..

أنا أعرف هذا الطراز من البشر الذين أقسموا على ألا يندهشوا أبداً أو يبدووا لا بهيول. إنهم يعتبرون إبداء الدهشة لقصة طريفة نوعاً من العيب المشين. إنه نفس لطراز من البشر الذين يعلمون بواطن الأمور وما لا تعلمه أنت. سوف تحكي لهم عن المعاناة الإسرائيلية التي وجدتها تحت السلم، فيهيرون للرؤوس ويبتسمون في شفقة ويقولون:

"هذا لا شيء.. أنت لا تفهم.. إن هذه لغواصات موجودة تحت كل سلم في البلاد.."

أما عندما يحكي لي شيف غريباً فإنني أنسى نفسي وأنسى غريزة الانتقام. تغلت مني صيحات الدهشة وتظهر على وجهي

لحقيقة أنني أفكر في قتله كثيراً . هذا هو الحل الوحيد مع شخص لا يندesh كهذا . شخص يشعر بك أنك طفل ساذج لم ير شيئاً بعد . وممن كذلك . لكن هؤلاء القوم يملكون هم أنفسهم نوعاً من الطمولة الواضحة ، فهذا هو تفخر الأطفال من طراز (أبي عنده درجة بخارية وأبوك ليس عنده شيء) . قلت هذا لزوجتي فقالت :

”وكذلك الأطفال هم من يمتاطون من تفخر الأطفال !“

لم أفهم معنى هذه العبارة الملتفة ، لكنني أعرف جيداً أنني سأضبط (مختار) يوماً ما بمعلومة تثير دهشته ودهوله . فقط أبدو أنه أن يندesh قبل أن أضطر لقتله .

فن التسخيف



خيطة واه جداً يفصل بين المعنى

العميق والسخف . من مصلحتنا جميعاً ترك هذا الخيط حيث هو ، فلو انقطع لعد الكثير . كنت أتبع باهتمام برامج قناة الجزيرة الساخنة مثل (الاتجاه المعاكس) وأفعل مع من يفعل وأصرخ مع من يصرخ ، حتى قالت زوجتي ذات مرة في ملئ :

”هؤلاء القوم يعانون من فراغ قاتل... لا مشاكل عندهم !.. يجلسون معاً ليبدءوا في الصراخ لمدة ساعة ثم يعود كل منهم لوطنه..“

قلت لها في حماسة إن هذا صراع أفكار ساخن من أعلى طراز ، لكنها كانت مصرة على أن الواحد من هؤلاء لو كان مكلف بالطهي وتنظيف بيت والعناية بأطفال لما وجد وقتاً لهذا الهراء . من الغريب أن كلامها بدأ يقطع هذا الخيط الوهمي ، وبدأت أشعر

بالعلم أن هؤلاء قوم يأنون ويفعلونوا لصراخ، وليتسلى المخاهد
بهذه المصارعة الحرة الفكرية لا أكثر

كنت أشاهد فيلم رعب مثيراً عندما سألتني ابني عن
موضوعه، فقلت في حماسة: "هناك دير لا يمارس رهبانته
المسيحية، ولكنهم يمارسون عبادة الشيطان.. والبطلة راهبة
جديدة لا تعرف ما يحدث". قال في ملل:

"وما المثير في ذلك؟.. سوف تكتشف السر وتحاب
بالرعب.. تحاول الهرب فيلاحتونها وفي النهاية تنجوا"

بدا لي كلامه معقولاً وبدأت أرى أن الفيلم ليس بهذه
الروعة على الإطلاق. لقد نجح لوغد ببراعة في قطع الخيذة الواهي
فبدا الأمر على حقيقته: هراء..

لو امتلكت موهبة لتسحيف هذه لهد لك أي شاعر شخصاً
مدعيً يقول كلام مفتعلاً لا معنى له، والزهرة التي تقدمها
لحبيبته تفهة، وليدك السياسيون مصبين يبيعون كلاماً، إن
رواية لحرب ولسلام هي ببساطة قصة محاولة بليون لاحتلال
روسيا وفشلها، بينك (شجرة دافشي) هي شخص مات وترك بعض

الأفكار التي ينفح حلقها. قديماً وصف أحدهم فيلم (انك لمعتوس)
بأنه فيلم تسجيلي عن صيد سمك القروش!..

موهبة التسحيف هي الطريق الأمثل للانتحار، وهي
قادرة على جعل الحياة بلا معنى فعلاً. هل تذكر قصة الرجل
الذي أهدى أمه بهباء متكلماً بهظ الثمن، ثم اتصر به بعد أسبوع
ليطمئن على البيء فقالت بلهجة عملية: لقد كان لديداً!

عليها أن تبقى هذا الخيط لرفيع ولا نقطعه كي نجد مبرراً
لحياتنا. ولهذا أتوقع منك أن تجد هذا المقال ساخرًا ممتفً وعلى
شيء من العمق، بدلاً من أن تعتبره مجرد هلوسة من شخص لا
يجد شيئاً أهم يفعله. هذا يحفظ السلام للنفس لنا معاً.

من أجل مزيد من الجودة



هناك وبعء جديد لا يختلف عن

إنفلونزا الخنازير في العنك ولا سرعة الامتشار،

وقد راح يجتاح كل هيئة وكل مؤسسة وكل هيئة

علمية، وهذا الوباء اسمه (ضمان لجودة) هناك دائما منحة من

الاتحاد الأوروبي وهناك أشخاص مهمون جدا يتقاضي الواحد

منهم في الشهر ما تتقاضاه أنت صيلة حياتك، وهناك كتيبات

وهناك دورات لابد من حضورها لتقديم فيهم والا خربوا بيتك

حتى تشعر بأن الأمر يتعلق بتجربة نوع جديد من أساليب النوم.

وهناك برمج من الخارج تحمل أسماء طويلة مثل ZEF و

HEBAB وهناك تهديد دائم بأنه لا مزيد من العناء المجاني،

وأن لعروة متدحة كي تطرد ويجوع أطفالك.

الشكلة أنني لا أجد أثراً لهذا على أرض الواقع. هناك
صوصاء ودخان كثيران جداً، لكنك لا تجد أي نار ولا أي طحس.
هذا الوباء له علاقة جيمية ببن عم قريب له هو التنمية البشرية
والبرمجة اللغوية العصبية.. كلهم جاءوا من مصدر واحد لا
أعرف ما هو..

يجمعنا المدير ويقول لنا في حزم:

"لقد انتهى زمن الغذاء المجاني.. نريد جداول تحدد

مهمة كل موظف عندنا وعدد الساعات التي عملها والتي لم

يعملها. أريد جداول تحدد مدى تطبيق معيير الجودة في

الصلحة، وربط هذا بالعدل الحركي الاستثنائي لأيون لأوزون..

سوف نشكل لجنة. هذه اللجنة مهمتها أساسية لشكيب لجنة

تتبع عملها لجنة، واللجنة لأخيرة تحدد مجموعة من

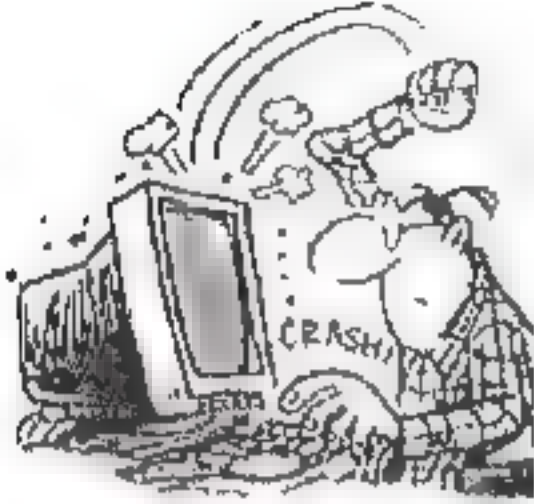
الأشخاص مهمتهم مراقبة لجدول، وعمر جداول تحدد الموظفين

الدين لم يتلقوا دورات في الجودة. هؤلاء سوف تقدم لهم دورات

جودة ثم يتم امتحانهم. على أن تضع الامتحان لجنة مخلولة

بذلك يتم ترشيحها طبقاً لمعايير ضمان الجودة وهذه اللجنة

متحمسون



لسبب ما يقوم

أي شخص يعرف اسمي

وعنواني البريدي على النت بوضع اسمي ضمن قوائم مراسلات المجموعات البريدية هذه خدمة لم أطبها ولم يسألني أحد عن رأيي.. لكنني أتلقى كل يوم حشد من الخطابات من مجموعات غريبة لكنها نشطة جدًا. مجموعة مؤامرة سيد الشماشجي. مجموعة الألسنة اللغوية للدهيم الحديثة.. منتدى الماجنين لتبادل الصور المثيرة.. وهكذا..

في كل يوم أفتح صندوق بريدي لأجد مائة خطاب لا أعرف من أرسلها ولا لماذا يرسلها لي أيا، مع مناقشة قضيتي لا تهمني هناك خطاب أول يقول:

-أبو الزعاريح لم يكن قط عضوًا في منظمة إيتا الانفصالية-

سوف تصع خطة لتطبيق الجودة في الأشهر القادمة، وعندما نستعد لذلك سوف بشكل بحمة تحدد الوقت المناسب لدعوه هيئة الجودة كي.."

ثم ينقطع صوته فيشرب جرعة من الماء ويواصل الكلام:

-وهذه اللجنة سوف..."

هذ أنظر لساعتي فأكتشف أني تتكلم عن تطبيق الجودة منذ ثلاث ساعات. هناك كومة من الأعمال على مكتبي، وكلها عاجل، لكن لا مفر من المجيء هذه لأن الجودة لا ترحم الخلاصة أنت قصيف اليوم كنه في التخطيط للعمل حتى لم نجد ثانية واحدة نعمل فيها. نعم.. هناك أسس خلقوا للجودة وأنا لست منهم لأبني لست جيدًا بما يكفي.. كن ما أعرفه هو أن علي الاستمرار في سماع هذا الهرء حتى لا أجد نفسي في الشارع.

ثم يصل رد من دات المجموعة:

"بالنسبة لما كتبه العضو الأحمق السابق.. أبو الزعازيع عضو مؤسس في منظمة يت، لكنكم احترفتكم الكذب وبداقة الأنظمة"

فيص خطاب ثالث:

"الرد الكامل على ادعاءات أبي الزعازيع.. نعم هو ليس عضواً.."

ومع كل رسالة خدب يحتاج مني لشهر من القراءة مدعماً بلوثائق والصور.. من هو (أبو الزعازيع)؟.. لماذا هو في (إيتا) ولماذا ليس فيها؟.. من هم هؤلاء؟.. امسح.. امسح..

ما أن أنتهي من المسح حتى أجد عشرة خطابات أخرى بسرعة البرق: "أبو الزعازيع يرد بنفسه"

أقوم بفتح تلقي لخطابات بخاصية الحجب فقط لأكتشف أن هذا غير كاف.. فمرس الخطاب ينمير في كل لحظة.. هناك جملة بخط صغير غير واضح تقول إن علي إرسال خطاب للعنوان العلاني كي لا أتلقى هذه الرسائل أرسل خطاباً فيصلني طلب

للتأكيد هل أنت متأكد من أنك لا تريد تلقي رسائل (أبو الزعازيع)؟.. والله العظيم متأكد.. وأرسل من جديد وأنتظر..

بعد نصف ساعة تصلني عشرة خطابات أخرى.. (أبو الزعازيع ليس عميلاً لحكومة الإسكيمو).

إن هو كابوس لن ينتهي أبداً.. لا مفر سوى الموت أو أن أغير عسواني البريدي، لكن هذا ليس حلاً لأنني سأتلقي الخطابات على العنوان الجديد بعد فترة لا يبدو الاطلاق حلاً محبباً كذلك لأنه حرام، ولأقول في يوم لحساب إسني انتحوت فراوا من (أبو الزعازيع)..
نعم.. من فضلك قبل أن تضم اسمي لمجموعة بريديّة، عليك أن تتأكد من أنني مهتم بأعرف أخبارهم. وبمقطة الأهم هي ألا تصممني في مجموعة نشطة تملأ صندوق بريدي عشر مرات كل يوم. وبالطبع لا تضميني في مجموعة مهمتها لدفاع عن أبي الزعازيع.

أمام المدفع



أعتقد أن الطب مهنة مرعبة فعلاً . هذا الرجل يلقي نظرة فاحصة إلى أحشائك وأجهزة جسدتك، ويتبين العلامات على أنها لا تعمل جيداً.. وقد رأيت أناساً يمارسون حياتهم في نشاط وكفاءة، فلم عرفوا أنهم مرضوا، صاروا كذلك فعلاً، وبعزم أنني طبيب فرنسي ما رلت أحتفظ بمشاعر المواطن العربي تجاه زيارة الأطباء مثلاً ما زال قلبي يرتجف عندما يفرع طبيب الأمراض الباطنية من قياس ضغط دمي ويفك الربطة عن ساعدي، ويتقلص وجهه كأنه لا يعرف من أين يبدأ..

أشعر بكراهية مجنونة لطبيب الأسنان، عندما يتأمل فمي المفتوح وتشيع في وجهه ابتسامة معدها "حلاوتك!" معسى هذا أنه وجد كورت لايد أن في فمي فجوة بركابية وأخدودين..

سوف يحضر المثقاب إياه الذي يحطم الأعصاب ويعمس في فمي للأبد . رأيت فيلم قديماً كن المازيون فيه يعدبون صحاياتهم بواسطة طبيب أسنان يحمل مثقاباً، وأعتقد أنه تعذيب عبقري فعلاً.

هناك كذلك طبيب العيون وهو يفحص قاع عيني ويتنفس في ثقل وصعوبة، فأتوتر وأتوقع أن يخرج ليذري أعضاء الجمعية الأمريكية لطب العيون، ويلقي فيهم محاضرة عن حالتي. سوف يلتقط عشرات الصور لهذه الحالة النادرة التي لا علاج لها ولم يرها الطب قط، ويشر مقالاً مهماً عنهم.. ربما يطيب مني التبرع بعيني لخدمة الطب.. هذا طبعاً بعد موتي لدي صار وشيك.

لقد اعتدت منذ طفولتي أن أعتبر طبيب الأسنان وطبيب العيون عدوين لي، ينتظران الفرصة لتدميرني، حتى إنني أوشك على الصراخ باكياً:

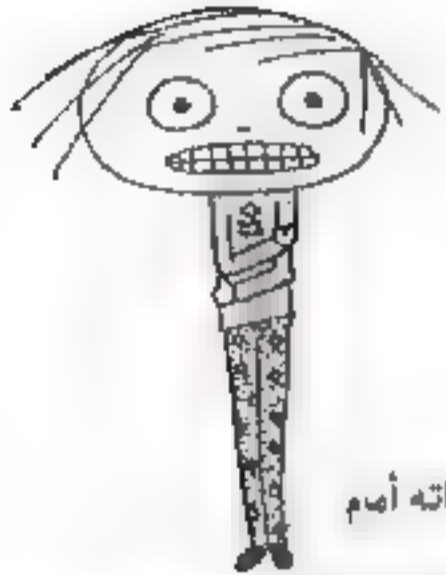
-لماذا تتحرش بي أنا بالذات؟.. سأتهلك بلاضطهاد!

لست منهم لكنني أعرف أن معظم الأطباء تقريباً يخفون الحقن جسداً، ويحشون أن يضطروا لأن تخترق إبرة معدنية

لحمهم..

يبدو لي أن هؤلاء يخافون الأطباء جدا لدرجة أنهم قرروا
أن يصيروا منهم، حتى يكونوا خائف المدفع لا أمامه. سوف
يعطون الخوف للآخرين هدلاً من تلقاه..

على كل حال يمحك للطب فرصة معتارة، هي أن تستقم
من أطباء الأسنان وأطباء لعيون اكتشف أن المريخ الذي أمامي
طبيب أسنان فيتنقلص وجهي وأفحصه وقد بدا على القلق والتوتر،
ثم أعود للمكتب وأظل صامداً بعض الوقت وأعطي وجهي وأبعد
نظري عنه. هكذا يموت رعباً وقد أدرك أنني وجدت سرطاناً من
ألين الأنواع. إنه سعيد الحظ على كل حال، فإنا لا أمك مثقاباً
أحفر به فيه وبالتأكيد لن أجري له تعبيراً قولوبياً لمجرد
الانتقام. لا أمك انتقاماً سوى أن أمحه لحظات من القلق، وهذا
ما أفعله!



لست نفساً
ولكن..

خسر المنتخب لمصري مبراته أمام

المنتخب الجزائري، فسادت حالة من الغم شوارع مصر.. وعلى
العور اسهمت الاتهامات للاعبين بالتقاعس، والمدرّب بالإهمال،
وحارس المرمى بالغرور.. طبعاً لو فاز المنتخب لأنهمك الجميع في
نظم قصائد الغزل في حكمة المدرّب وبراعة اللاعبين..

وعلى شاشة التلفزيون ظللت عدة ساعات أرى الخبراء
يبدون رأيهم:

“خط الوسط ضعيف ومتخاذل..”

“الهجوم لا يملك روحاً قتالية..”

هؤلاء الخبراء كانوا لاعبي كرة في الماضي، وقد عرفنا أنهم
يرتكبون ذات الأخطاء. لم يكن أحدهم بيليه أو بوشكاش مثلاً،

لكنهم اليوم يتكلمون بحكمة بانغة مصداقاً لتعبير (التي على الشط
عوام). أقص خبراء لعبة الشطرنج هم الذين لا يجلسون أمام
الرقعة. هذه معروف فإذا جلسوا صاروا لاعبين مستواهم
متوسط أو أقل..

لكنني على كل حال كنت أرى أنهم يضيعون وقتهم.. سبب
لهزيمة معروف وهو أنني قررت أن أشاهد المباراة! أنا أصلاً
كائن غير كروي لا أعرف شيئاً من هذه اللعبة ولا لقواعدها. لا
أشاهد أية مباراة على الإطلاق، لكنني قد اتحمس في بعض
المباريات الدولية فأجس أمام التلفزيون. هكذا يضيع فريقنا.
هذه قاعدة عامة..

ذات مرة قدومت رغبتني في مشاهدة المباراة ومشيت في
الشارع لمدة ساعة ونصف، إلى أن سمعت أبواق السيارات ورأيت
الشباب يرقصون، وحكموا لي عن حارس مرمانا الأسطوري
ومهاجمين البرعين وكيف أصيب لاعبو ساحل العاج ببوبات
قلبية وكيف بكى (دروجب) و و وفي مرة أخرى مشيت في
الشارع ساعة ونصف، لا قليلاً ثم شعرت بالإرهاق فدخلت كافيتيريا

بها تلفزيون مفتوح. ما إن جلست وطلبت كوب شاي، حتى
سمعت المذيع يصرخ:

-هدف!.. هذا هو أول هدف يدخل في مرمى مصر وفي
وقت قاتل! "

وفي خلال ثلاث دقائق طرد أحد من لاعبيك ودخل
الهدف الثاني!.. كان علي أن أرحل قبل أن يسقط بيرك على
الفريق أو يصاب لاعبونا بوباء إيبولا..

هكذا عرفت الحقيقة أن وبال على فريقنا القومي لسبب
مجهول، وأفضل المباريات هي تلك التي لا أراها.. وأعتقد أنهم سوف
قرعوا هذه السطور لفهموا كل شيء، ولدفعوا لي مكافأة محترمة
مقابل عدم مشاهدة المباريات..

لا أؤمن بالنحس، لكن هدت تفسيراً فيزيائياً محترماً لما
يحدث. وأعد منتخب مصر ألا أشاهد أية مباراة له لمدة عامين
على الأقل إلى أن يستعيد مستواه..

فلسفة اللبن



ثمة شيء غريب مفهوم في
اللبن.. أنت تعرف أن له صديقاً معيناً
يوحي بالظهور، وقد ارتبطت الجنة
بأنهار اللبن والعسل.. الاتصال
بالشيطان وإعياذ بالله يتضمن

استعمال معيناً للبن لا أجرؤ على ذكره.. أي أن إهانة اللبن خرق
للمقدسات.. لكنني أظن كذلك أنه سائل فلسفي..

هناك ذلك لإلهام المتدفق الذي تشعر به مع اللبن..

أنت في المطبخ زوجتك تتكلم مع صديقتها على الهاتف.
توصيك بأن تراقب اللبن الموصوع على الموقد قلبه من وقت لآخر
وتهشم طبقة الدهن المتخثرة على سطحه كي تصمن خلوه من
الحمى المالتية..

تتذكر الحمى المالتية.. كان لك صديق أصيب بها واستغرق

أكثر من عام كي يشفى. بعض الأنوع تكون خطيرة فعلاً لحمى
المالتية هي البروسللا. اكتشف بروس الضابط لبريطاني..
اكتشفها في جزيرة مالطة وكانت تصيب الجنود البريطانيين.
مالطة!.. كان لك صديق قضى شهر العسل في مالطة وقل إنها
رائعة، برغم أن زوجته لم تكن رائعة بل قدر ذاته، وسرعان ما
دب بينهما الخلاف وتم الطلاق بعد عامين..

من يدافع عن قصة خاسرة بقدر إيم يؤذن في مالطة.. هل
حقاً لا يوجد مسلم واحد في مالطة؟.. أنت تؤذن في مالطة عندما
تكتب عن الوعي العربي، لكسك تأمل في أن يبلغ صوتك واحداً
يأتي للبلية الآن..

صديقك كان اسمه (صالح).. ديفيد بروس كان بريطانياً..

بريطانيا احتلت مصر فترة طويلة لكنها لم تترك علامة ثقافية
واضحة كما تركت فرنسا في تونس والجزائر. لا يوجد بلد عربي
احتله الألمان. فقط ظهر الألمان فترة قصيرة جداً ممثلين في الفيلم
الأفريقي وقائده رومر. خطوط الإمدادات لم تتسبب مع سرعة
تقدمه لذا خسر الحرب. لابد من كتابة مقال عن هذا الموضوع.

يجب ألا تسبق طموحاتك إمكانياتك..

تهرع لتحضر ورقة وتدون عليها بعض الأفكار.. هناك فيهم جميع اسمهم (فالكيروي) يحكي عن مؤامرة غتيال هتلر.. هل كان رومين في المؤامرة؟.. لا بد من البحث عن هذا الجزء..

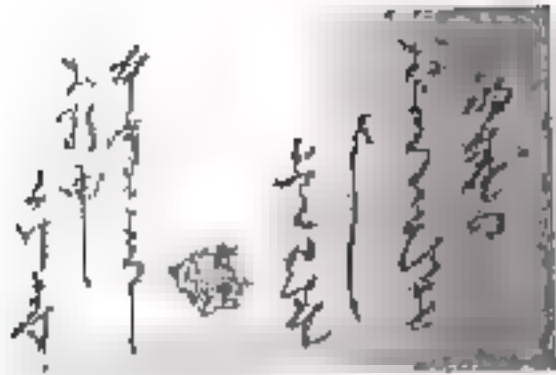
هنا تسمع صوت (طشدا) . تهرع للمطبخ لتكتشف أن لبنين فار فغصني الموقد وأغرق لأرض كلها . لم تعد منه قطرة في الإناء المسخن.. تدرك هذا وأنت تسمع صوت خطوات روجتك قدمة عبر الصالة وهي تقول:

“أشكرك كثيرًا. أرجو ألا أكون قد أثقلت عليك بهذا

الطلب !!”

أترك ما حدث بعد هذا لخيلك!.. نعم.. اللبن سائل غامض ملهم وسيظهر كذلك. لا تنس أنه مصدر إلهامي بهذا المقال لذي أرجو أن يكون قد رقق لك !!

حسن
خطك



سمعت في المدرسة عبارة (حسن خطك) مليون مرة على الأقل، كما كتبها معلمون في كل كراريسي. وكان لها في أذني ذات رنين (أحترم نفسك) . حاولت جاهدًا أن أسيطر على جماح القلم وأن أمشي في المسارات التي حددها أسانذة لخط العربي سلف لكبي فشلت . وكنت رسامًا جيدًا لهذا عرفت المعتقد الخرافي الشائع لدى الناس أن الرسام يجب أن يكون خطه رائعًا..

فيما بعد بدأت أكتب بالحروف اللاتينية، فكتشفت أنها أسوأ وأقبح من حروفي العربية، حتى شبيهها صديق لي بأنها صراصير تحرك شواربها، وأنه لو رش أحدهم الورقة بمبيد حشري لصارت بيضاء من غير سوء..

لم أشعر قط أن خطي بهذا السوء، لكنني قدرت أن الأمة لا

نجمع على باطن، فما دام كن هؤلاء أجمعوا على سوء خطي فعلي الاعتراف بهذا..

إنه طفولي سانح لا يلتزم بالسطر أبدًا، ويجمع بين حروف الرقعة والنسخ في كلمة واحدة واضحة وضوحًا مهيئًا.

كاد الأمر يهرع عني خير نولا أنسي عمت بمهنة الكتابة، وصار علي أن أقدم بالمطبعة هذا الخط مرارًا فأتلقي ابتسامات لسخرية من الصائين، أو يقول لي أحدهم: "نوهوبون خطهم سين دائمًا..."

ازداد لأمر سوءًا عندما وجدت أنني غير قادر على قراءة ما أكتبه أحيانًا..

خفف من ألي نوعًا معرفتي أن عباس محمود العقاد كان خطه رديئًا، وكان يحرص على ألا يراه أحد لذا كن يرسل كتبه في مظاريف مغلقة، وكان يكتب بقلم أحمر مميز. هناك آخرون اشتهروا بالخطوط الرديئة، وفي عالم الغرب رأيت صفحات بحط (هيرمان ملير) فحسبته يرسم لا يكتب..

ثم ظهر الكمبيوتر، وهكذا انتهت علاقتي بالورقة المكنوية للأبد. كل شيء صرت أكتبه على الكمبيوتر حتى لو كن حساب البقال.. الخواطر أكتبها على الكمبيوتر.. كل شيء.

بعد عشر سنوات من استعمال الكمبيوتر أدركت في رعب أنني صرت غير قادر على الكتابة على الإطلاق ولهذا أرى نظرة دهشة في حملات التوقيع عندما يأخذ أحد القراء كتبه موقعا طبعًا من الصعب أن آخذ كن الكتب لأضعها في الطبعة

صباحتي الوحيدة لكن من يرغب في احتراف الكتابة، هي أن يمضي بعض الوقت في مدرسة خطوط. هذا سيعفيه من حرج كثير في الغد، خاصة لو قل له أحد الناشرين: حسن خطك!

المتذاكيات



متذ نعومة اظفاري
أعرف هؤلاء المتذاكين، الذين
يرون ويفهمون ما لا نراه نحن..

المتيات من أهم أعضاء نادي المتذاكين، وأعتقد أن
للمجلات لسانية دوراً في هذا.. فالفتاة تمضي وقتها في قراءة تلك
لمجلات، وتكون ثقافتها من معلومات على غرار: "عائلة أمريكية
تؤكد أن الرجل الذي يعبث في أذنه كثيراً بخيل..". "الرجل
لدي يلبس سروالاً أحمر مصب بالبرانون". "طبعاً رأيي في الرجل
الذي يلبس سروالاً أحمر مختلف تماماً، لكن لا يمكنك عمل
قواعد علمية اعتماداً على هذا السخف.. إنه مجرد أسلوب لئـلـ،
الصفحات لا أكثر..

الويل كل الويل لك لو تقدمت لفئة من هذا الطراز.. إنها
فرصة الفتاة الأخيرة ولوحيدة كي تجلس في موضع القاصي،

وبصدر أحكامها وتقرر.. أممها شاب يحاول الظفر برضاها وهي
تمتحنه

سوف يضع يده على خده الأيمن.. آآآه.. لقد قرأت في
مجلة (سيدتي) أن هذا دليل على أنه كذب الرجل الكذاب لا
يشفى أبداً..

سوف يفرك أذنه.. هناك عالم ألدني قل إن هذا دليل على
عدم الصراحة. أما لو كان يضع ساقاً على ساق فهو مصاب بمقدرة
(أوديبي).. آسفة.. لا أطيق الرجل (ابن أمه) أبداً..

صديق من أصدقائي تقدم ذات مرة لمتاة من هذا الطراز،
فسألته في تحد عن رأيه في الحياة الزوجية ودور الزوجين فيها،
وكانت تهر رأسها موافقة أو معترضة على ما يقول كأنها ممتهن
في لجنة شفوية. لسن حالها يقول: ليست هذه هي الإجابة التي
أنتظرها منك..

ثم تكلم أبوه المستشار الوقور المسن لمصمت صاحبنا، هنا
وجدت الدليل الأكيد على أن صاحبي إمعة ضعيف الشخصية لا
يستطيع مواجهة أبيه.. العريس المثالي في رأيها هو الذي يصيح



مكالمة واحدة فقط

لسنا والحمد لله من مدمني الفضائيات. وبستثناء بعض القنوات الإخبارية وقناة للرسوم المتحركة، يصعب أن تروى على شاشتنا أي برنامج آخر.. حتى يوم الاثنين الماضي..!

أبسمي ذات السنوات التسع تقلب الهرم على شاشة التلاميذ الصغير الموجود في عرفتتها، وهن تجد تلك المذبة الملوحة بالأصباغ، المجنونة تقريباً تصيح:

"لم يعرف أحد بعد صاحبة هاتين العينين!.. نحن في الانتظار!!"

مع أرقام هاتف عديدة لمن شاء الاتصال لحل المسألة. هناك أرقام في مصر وكل دولة عربية أخرى، وطبعاً هاتين العينين

في أبيه: "اصمت!.. عندما يتكلم الكبار لا تتدخل!"

على كل حال تعلمت أن العتبات لنداكيات من هذا الطراز يرفض ويرفضن. وفي النهاية تكتشف الفتاة أنها تقدمت في العمر جداً، وأنه من الصعب أن يظهر في حياتها من يخرس أباه أو لا يتحسس أسفه أو يضع يده على خده الأيمن، لهذا توافق على أول صديق، وهو غالباً رجل كذاب غير صريح بحير ابن أمه وضعيف لشخصية أمام أبيه لكنه يصلح على كل حال. وتجلس في الكوشة تتنفس الصعداء.. لقد كانت تلك المجلات النسائية بمن فيها من خبيرات أمريكيات تضيق عمره كله!

هما عينا (هيفاء وهبي) أي مجنون يدكنه أن يعرف أنهما عينا
(هيفاء وهبي).. لكن أحد المشاهدين يتصل :

"هاتان عينا (سعاد حسني) .."

تصبح المذيع في حيرة:

"لا والله.. تخسر ثلاثة آلاف دولاراً"

ليس لدى ابنتي جهاز جوال، لذا تهرع لعرفتي تتوصل
لي في حرارة.. المسابقة سهلة والحس بسيط والمتحابون أغبياء..
أتوسل لك يا أبي . مكالة واحدة فقط أقول لها في صرامة إنني لا
أسمع بهذا لكلام الفارع تنظر لي في كراهية ثم تهرع تتوصل إلى
أمها.. تلين زوجتي مع لتوس والضغط والدموع فتناولها الجوال
الخاص بها، وهكذا يحدث السيدريو الذي توقعته مرحباً بك..
نرجو الانتظار.. مقطوعة موسيقية طويلة جداً.. نرجو الانتظار..
ثم: شكر.. لقد تم تسجيل اسمكم . في النهاية انتهى رصيد
الجوال وصار صفراً..

على الشاشة يتوالى الأغبياء: هاتان عينا (محمود

الملحجي).. هاتان عينا (جيمارا) و بنتي موشكة على نجوم
في النهاية تتوصل لي دامة كي تكرر الاتصال، فأعطيها جهازاً
وأنا موشك على الانعجار تحرب ثابئة فيحدث كل شيء من
جديد، وما تنجح فيه هو تحويل رصيدي إلى صفر .

نامت في النهاية مرهقة دامة، وفي اليوم الثاني صحت
مبكراً جداً وجلست أمام الشاشة وأقنعت أمها أن تعيد شحن
رصيدا وهذه المرة كانت لمذيمة البلهاء تعرض عيني (أليسا)
العريب أن زوجتي بدأت تقتنع أن هذا البردمج جميل ومفيد وأن
فرصة العوز قريبة جداً لو صبرت، مشكلتي هي أنني عجول صيق
الخلق.. نظرت لعيني ابنتي وعيبي زوجتي اللامعتين المليئتين
بالحماسة، مبروك! لقد تحولتا إلى مقامرتين بالفعل. هذا
المشهد هو ذات المشهد الذي قرأناه في رواية (القمار)
لديستوفسكي، لكنه قمار بلا أوراق لعب ولا عجلة دوارة . قمار
خفي جداً وأنيق جداً..

هكذا انتهزت فرصة غيبيهما بعض الوقت، وقمت بتشغيل
قناة القمار تلك . هكذا أقنعت ابنتي أن لقمار الصنعي قد تلف



تليباتي

تقول زوجتي في فخر

..أنا وأفراد أسرتي بملك لكثير من التواصل الفكري..

نشعر بأرواح بعضنا معها بعدت لساعات والأيام هذا لأننا أسرة
مترابطة فعلاً

انبهرت بهذه الدرجة الخارقة من الترابط الأسري..

معنى هذا أنني في أسرتي كنت منبوذاً وكنت مجموعة من الذئاب
المصارعة. تأمل زوجتي إن تنهض في الصباح قلقة متعكرة المزاج،
وتقول إنها تشعر أن أختها المقيمة في الخارج ليست على ما
يرام.. تتصل بها في أقرب فرصة:

..شعرت بأنك لست بخير..

بالطبع تكتشف الأخت على الفور أمها كذلك، وتبدأ في

التفسير:

وإن كنت انتظر في رعب أن تجد قناة أخرى، وأن تطالبني بمكالمة
واحدة فقط.

حتى ذلك لحين أرجو أن نسمي الأشياء بأسمائها هذه
ليست قنوات ترفيهية.. هذا قمار.. والله العظيم قماراً !!

..توبة اعلونوا قوية.. كاد الصداق يقتلني.."

هنا تضع زوجتي السماعة وتقول في انتصار:

"من ترى؟.. تليباثي.. اتصال فكري وروحي كامل بيننا"

انبهر بشدة بهذا.. خاصة عندما يتصل بنا أخوها بعد يومين ليقول إنه قلق على زوجتي . هذه المرة أنا متأكد أنها بحير، لكنها تتذكر أنها تعثرت على الدرج منذ أيام وكادت تسقط . يا للشذافية!.. فعلاً هم على اتصال روحي كامل..

أصيبت حماتي بورم في المبيض، وقد رأى الجراح أنه قد يكون خبيث لذا علينا أن نحلله بعناية. طلبت من زوجتي أن أكتب لخبر حتى لا يعرف أي واحد من أخوتها..

أجرت حماتي جراحة ناجحة، وتبين أن الورم حميد ولحمد لله . فقط تذكرت أن أحداً من أولادها لم يتصل من الخارج طيلة الأسبوع.. قلت لزوجتي:

"من الواضح أن لتليباثي كان في إجازة هذا الأسبوع.. والدتك كنت في خطر داهم فلم يشعر احد بقلق ولم يتصل أحد بينما تتصلون ببعض لمجرد سوء الهضم.."

قالت في حماسة:

"لأن الورم حميد.. أدركنا هذا على الفور فلم يطلق أحد"

مصائب كثيرة انتهالت علينا مؤخراً، منها حمى طويلة أصابت زوجتي، ثم أصيبت أمها بداء السكري . كادت ساق زوجتي تنهشم عندما تعثرت في الشارع . تشاجرن مرات لا حصر لها..

كل هذا ولم يتصل أي واحد من الأشخاص الحساسين مرة واحدة.. قلت لزوجتي هذا فكان رأيها أن السبب أنه لا توجد مشكلة خطيرة حقاً..

من جديد تحسنت الأمور، ونالت زوجتي ترقية في العمل.. واستقرت حماتي صحتها، وجلسنا نحتس جميعاً كأسرة سعيدة هائلة، هنا دق جرس الهاتف الطويل القادم من الخارج.. كان هذا أخا زوجتي يسألها بصوت مرتجف:

"وجهك لا يفارق أحلامي أراك تبكين وتتمذبين لا

تخفي عني شيئاً.. أعرف أنك في مشكلة حقيقية.."



ذات القانون!

تطبيق ذات القوانين على

الطرفين أمر بديهي، لكنه عسير جدًا. كلنا نرود طيلة اليوم تعبير (المعايير المروجة) نكتب نمارسها بلا توقف كم مظاهره خرجت مطالبة ببيع المدايح في الكونغو مد أعوام؟ فعلها العالم الغربي لكن أحدًا في العالم العربي لم يفعلها. لكننا نعجب بالعربيين جدًا عندما يخرجون في مظاهرات من أجل غزة..

أتمني أن أتصاق جدًا عندما يلح علي صديق طالب استرجاع كتاب له، لكنني كذلك أتصاق عندما يحتفظ صديق آخر بكتاب اقترضه ولا يرده لي. زوجتي تتصاق جدًا من روجة أخيه التي تكلمه بصوت عال وبلا احترام، لكنها تقول لي هذا بصوت عال جدًا! أمي ترى أن زوجتي لا تخدمني كما يجب، لكنها في الوقت ذاته تغتاز من زوج ابنتها الذي يطالب ابنتها بأن ترعاه كما يجب.. وهكذا...

ابتلعت زوجتي قطعة التورتة التي في طبقها، ورشفت رشفة من المصير ثم فكرت وقالت:

.. لا أعتقد أن هناك مشكلة.. ولكن.. لحظة.. تذكرت.. لقد أغلقت باب الحمام على إصبعي أمس.. أنت فعلاً شديد حساسية.. سلعت لي وسلم حيك المرفأ!

كنت أذكرها أنها منذ أسبوعين كنت مريضة لدرجة الاحتضار ولم يشعر أخوها بشيء، بل إنه اتصل بها فردت عليه بصوت مبحوح متقطع وهي لا تكف عن السعال لحظة، لكنه لم يلاحظ أي شيء غريب.. لكنها كانت منتشية جدًا لأن أسرتها تملك هذه الحساسية الشديدة. وقد وضعت السماعة وقالت لي:

.. التليباتشي.. هذا يفسر كل شيء. تمنيت دومًا لو أنك نشأت مثلي في أسرة يحب أفرادها بعضهم بهذا القدر. هذه نعمة لا يمكنك أن تتصورها..

عندما تصيء كشفات سيارتك بقوة فلنكي ترى الطريق،
بيهم يضيء الآخرون كشفات سياراتهم بقوة في عينك لأنهم
ولاحون معدومو سليقة..

من انلصص الظريقة فعلاً التي تذكرني بهذا الموضوع قصة
حقيقية عن طالب جامعة أمريكي، قرأ بعناية لوائح الجامعة منذ
150 عامًا، هكذا دخل لجنة الامتحان واستدعى المراقبين وطلب
بثبات كوب عملًا من البيرة!

طبعًا نهل المراقبون لهذا الطلب مستحيل.. بيرة في لجنة
متحدن؟.. لكن الطالب قل إنه قرأ للائحة التي عمرها 150 عامًا
وهي تنص بوضوح على أن من حق الطالب شرب كوب بيرة كبير
في لجنة الامتحان. وهو كذلك يهدد بأن يرفع قضية على الجامعة
لخالفة اللوائح..

هكذا جتمع إداريو الجامعة لدراسة الموقف، وماذا لو
طلب انجميع دات الشيء؟.. مستحيل. هكذا طلبوا اللائحة
البعينة لدراسته.. وفي النهاية وجدوا حلاً عبقرياً لهذه المشكلة..
لقد طربوا الطالب من اللجنة لأنه لا يحمل سيفاً، بينما

اللائحة تنص على طرد أي طالب لا يحمل السيف لأن هذه علامة
على عدم الاحترام!..

هكذا عومل الطالب ببعض القانون الذي تمسك بتطبيقه،
وهو عقاب عادل كما ترى!، يجب على من يطلب تطبيق القانون
أن يقبل تطبيقه على نفسه أولاً، ويبدو أن هذه لبدئية غريبة عن
الجميع ممن يدخلون لجان الامتحان من دون سيف.

النذل



إن (عادل) نذل.. الكس

يقول هذا عنه.. أمه وأخته وأخوه.. كلهم يعرفون أنه نذل وصاحب مصلحة وأك متى احتجت له لم تجده. يحاول (عادل) أن يزيل هذا الانطباع ويبذل مجهودات عنيدة، لكنه لا يظفر إلا بعبارة: "برغم أنه نذل فمن الغريب أنه مفيد أحياناً.."

أصيب أخوه في حادث مروع، ونقل إلى المستشفى. خلال خمس دقائق كان (عادل) هناك.. ثم تات روجة (عادل) إلا في اليوم التالي، وكند لم تات أم (عادل) ولا أخته، وحينما احتاج لأطباء إلى دم تبرع (عادل) على الفور لأخيه..

في اليوم التالي جاءت بقية الأسرة، وكان رأيهم إن (عادل) نذل لكنه يتصرف كالرجال أحياناً، وتصرفه هذا هو الاستثناء الذي يؤكد قاعدة بدالته.. صحيح أن أخته من ذات

قصيلة الدم لكنها رفصت لتبرع بقطرة دم واحدة لأخيها لأن لديها أسرتها، وهي بحاجة لقوتها. قالت للأطباء "لم لا تأخذون المزيد من دم ذلك النذل (عادل)؟"

قالوا لها إن هذا ببساطة سيقتله، وقالت "على الأقل سينقص عدد الأندال واحداً.."

عندما شبت النار في بيت أخته، سكب (عادل) على نفسه دلوًا من الماء ثم اقتحم البيران، ووسط الدخان خرج يحمل ابنلي أخته تسعلان هبأه الروح الذي وقف في الخارج صاحكاً وقال:

"غريب أن يصدر هذا التصرف ممن هو مثلك، لكن قد تسبق العرجاء"

تم تقسيم الميراث كما تعلم في حياة أمه، فتبين أن المرأة المسنة تركت كل شيء لأخته وأخيه لأن (عادل) نذل ولا يستحق مالها، بينما أخواه كريمان شهمان..

لم يقل (عادل) شيئاً، وعندما ماتت أم بعد ذلك ملأ الدنيا صراخاً وبكاء وأصابه اكتئاب شديد قل أخوه ممسراً وهو يلتهم قطعة كبيرة من اللحم "لسبب أنه نذل، وصغيره يؤسبه

على ما فعله مع أمه"

هنا انحشرت قطعة لحم كبيرة في حلقة فُورق لونه وراح
يجاهد طلباً للتنفس، هنا وثب (عادل) فوق المضدة والتف وراء
أخيه، وأحاط بطنه بيده وضغط بقوة كما تقضي مناورة (هايمليخ)
الشهيرة، من ثم اندفعت قطعة اللحم خارجة..

قلت الأخت في استحسان:

"لا بأس.. حتى الأندال يظهرون بعض الشهامة أحياناً"

(عادل) صديقي، وأنا أكرمه لأنه نذل.. صحيح أنني
أقترض منه مالا بلا توقف، وأكلفه بالأمر، لصعبة الشاقة مثل
تبديل إطار السيارة والشجار في الدوائر الحكومية، لكنني لن
أنسى حقيقة أنه نذل وأنا جميعاً أكرم منه، صحيح أنه مواظب
على الصلاة، لكنني أعرف أنني أفرض منه في كل شيء، وفي المرات
القليلة التي أصلي فيها أحمد الله على أنه لم يخلقني مثلاً مثله.

فن التمارض



يصعب على الرجل العادي أن
يصدق أن المرض شيء محبوب وينقذ من
أعقد المواقف، وأن هناك أناساً تتمنى أن
تمرض بشدة.. تقول له هذا، فيضحك في سخرية ويقول:

"يا أخي.. هل تتصور أن إنساناً يريد أن يمرض بكامل
إرادته؟"

الإجابة هي (نعم) وبقوة.. لكن بالطبع يتمنى الإنسان أن
يمرض بمرض بسيط سهل مثل الركام، فلا يوجد من يتمنى أن
يصاب بالسرطان أو الفشل الكلوي على قدر علمي..

هناك من الناس من يضعك تحت انطباع دائم أنه مريض
للأبد. لا تعرف هو مريض بأي شيء بالصبط المهم أنه مريض
وعليك ألا تتعبه ولا تجادله كثيراً، حتى لو صفحك على وجهك أو

مد يده فأخرج ما معك من بقود. هناك من يتبع البرامج الطبية ويقول مع كس مقطع: هذا أنا بالضبط! تذكره أن التكلم في التلمزيون ينافش مرض سرطان انقولون الدتخ عن مرض الإيدز، فيكرر: أنا بالضبط!

هناك نوع ثالث من هؤلاء المرضى، وهم من يجيدون الادعاء المريب.. بمعنى أنه لا يتظاهر فقط بأنه مريض، بل يتظاهر كذلك بأنه مريض يخفي مرضه حتى لا يقلق الآخرين! هكذا يقضي وقته في أداء تمثيلي مدهش. يرسم الألم على وجهه ثم يخفيه لأن الآخرين يروونه. وينظر لك نظرات جانبية ويسبل عينيه بمعنى (لا تدعهم يعرفوا)!!

ولكن ما جدوى ادعاء المرض؟..

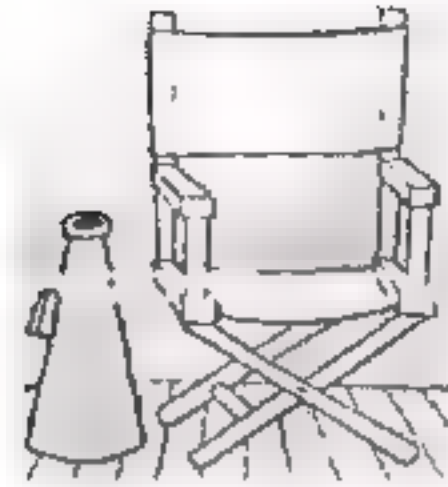
أولاً هو يجعل المرء يظفر بالشعقة والعناية الزائدة. ثانياً هو يضفي عليه لسة استشهد لا شك فيها.. إنه رجل نبيل يتحمل على نفسه ويخفي لامة عن الناس. ثالثاً هو يرفع عنه المسؤوليات، من منطق أنه ليس على المريض هرج..

يجيد هذا النوع من المرضى انتقاء ضحاياهم جيداً. مثلاً

الأم المسنة التي أعرف أنها سليمة تماماً وأن ابنها مريض بكس أمراض العالم، وبرغم هذا هي لا تكف عن الأبيس والتوجع. عسى أحبر ابنها أنها سليمة تماماً يتوحش ويصر على أنني لا أفهم شيئاً.. ألا تراها تتوجع؟ أقبعه بلا جدوى أن الصراخ ليس دليلاً على شدة المرض. النتيجة هي أنه لا ينام ويقضي أيامه متوترًا حتى يموت، فتبدأ هي في البكاء عليه..

على أنني في كل مرة أحاول فيها أن لعب ذات اللعبة وأدعي السقم قليلاً، يكتشف أمري سريعاً، ويحضرون لي طبيباً بارعاً يفحصني بعناية ثم يؤكد أنني أمارس لا أكثر. أو يصف لي حقناً عملاقة من النوع الذي يحرق ويلهب ويهدم ويؤلم.. ويصر على أن آخذ حقيقتين يومياً منها الخلاصة أن لتمرص فن معتد لا أجيده ولا يمكن تعلمه، ولهذا أفضل أن اظن صامتاً مهم اشتد بي المرض.

لأنني لا أفهم



لي تعاملات كثيرة جداً

مع المخرجين لتلفزيونيين

والسينمائيين لإعداد نصوص لي في صيغة درامية. أقول إن لي تعاملات كثيرة لكن شيئاً لم يخرج للنور تقريباً أو قط.

هذه أسباب عديدة لهذه، تكن أهمها في رأيي هو إصرار المخرجين على أن لسينما عالم معقد متشابك، وأنني لا أعرف عنه شيئاً. السبب الثاني، إصرار المخرج على أنه مبدع وليس مجرد موصل لأفكار الآخرين.. لابد من لسة يضيفها..

أقبل هذا في تواضع، ونجلس لقراءة العمل في مقهى وسط البلد، فأقترح أن يكون مشهد فلاش باك تستعيد فيه البطلة ما حدث لها أمس، هنا ينفث المخرج دخان سيجارته في وجهي ويقول:

..أنت تقرأ الكثير عن السينما، لكن دعني أؤكد لك أن التعقيد يختلف كثيراً. عيك أن تنسى كل ما قرأته من كلام نظري..*

أبتلع ريقى، وأقترح أن تكون هناك لقطة للبطلة وحدها في غرفتها تفكر، فيصيح:

..«صعوبات إنتاجية!.. أنت لا تدرك مدى لصعوبات الإنتاجية في مشهد كهذا!»

أقترح ألا تفكر البطلة، لكنه مصر على أن هذا يكلف الكثير من المال.. أقترح عليه ألا تجلس البطلة في غرفتها بل في الشارع، فيقول في ضيق:

..«هذا يتطلب مئات التصاريح للتصوير في الشارع!»

أما عن النص نفسه فلا بد من التدخل.. في رأيي أن القصة متكاملة، لكنه يرى أنها غير مناسبة سينمائياً.. هناك شخصية مهمة اسمها (عفاف) لابد من حذف (عفاف) هذه.. ليكن محذوف (عفاف).. يصير على إدخال شخصية اسمها (هدى) وشهير اسمه (عباس).. الرؤى الدرامية تحتاج إلى هذا. البطس

بالخروج أسأله عن سبب تعثر المشروع، قال لي:

١- المتجولون غير راضين عن هذا المسحف.. مطردة عبر

شبكة انترام وتمثال فرعونى مسروق!.. المشكلة هي ن المؤلفين لا

يعتقون أي شيء عن فن السينما . هذه هي الحقيقة المؤسفة!

والبطلة يهربون في شبكة مترو الأنفاق يرى هو أن هذا المشهد

غير مناسب سينمائيًا..

٢- أنت لا تفهم هذه لأشياء.. سوف نجعل البطل و(هدى)

يهربون عبر شبكة الترام..

٣- ومعهم الميكرو فيلم طبعًا؟

٤- الميكرو فيلم ليس جميلًا سينمائيًا.. سوف نجعل ما

يهربان به تمثالاً فرعونياً عتيقًا..

وهكذا يتدخل في كل شيء ويغير كل شيء.. كل شيء معتد

وصعب وأنا لا أفهمه..

في النهاية أكتشف أن ما صار له العمل هو عمل جديد

تمامًا لا ملأه له بما كتبت، لدرجة أنه يوحى لي بقصة جديدة

مشيرة!

إنهم محترفون حقًا.. وأب لدي ظننت أنه يتدحرج لمجرد

الحاجة الطفولية للظهور، وأن يشعر بأن التأليف لعبة أطفال

يستطيع أي واحد أن يقوم بها.. النتيجة هي أن العمل يتغير

بالكامل، والأهم أنه لا يجد طريقه للشاشة أبدًا، فإذا اتصلت

كتاب معين



في طفولتي كنت ألعب في مكتبة

أبي العملاقة، وخطر لي أن أبحث وراء

أحد لأرفف. وجدت حزمة من الأوراق وضعت في كيس من
لبلاستيك.. أوراق عتيقة قديمة متأكلة مصفرة، ففلبتني روح
المدمرة وتخبيت أنني وجدت خدعة كبر من العصر العباسي..

كانت لأوراق تحمى غلاف كتب عليه بخط متشابك جميل
(ألف ليلة وبيلة). رحت أقلب لأوراق غير عالم أن هذه نسخة
قديمة جدًا غير مراقبة وغير مهذبة من ألف ليلة وليلة ولما كن
أبي يرحمه الله مثقف محترم وليس من الطراز الذي قد يحول
بخطارك، فإبني أصرف سبب احتفاظه بهذه لنسخة وعدم
تدميرها: أنها مخطوط ثمين ونادر لم يجرؤ على التخلص منه.

حاولت قراءة المكتوب فلم أفهم الكثير لحسن الحظ، لكنني

فدريت أن هذا أثر مهم ربما يعود للعصر العباسي كما توقعت
فعلاً. هكذا حملت الكيس بم فيه، وأخفيت في تلك العجوة في
فراشي تحت الألواح الخشبية الشيء الثاني الذي تأكدت منه هو
أنني سأعاقب بقسوة على هذا العضول لراشد والتدخل فيم لا
يعني.. الصمت أفضل سياسة إذن..

جلست في براءة أقرأ مجلات لأطفال، ومر عماد قهر أن
أجد أبي يتقلب في قلق وتوتر عن شيء ما في غرفة المكتب.. بلطبع
ليست قائمة المشتبه فيهم طويلة هكذا، راح ينظر لي.. يوشك على
الكلام ثم يعض الصمت.. إنه يعرف. يرى الإجابة في صيني لكن
كيف يسأل؟

يقول لي:

“هل وجدت شيئاً في مكتبي؟”

فأقول في براءة:

“وجدت أشياء كثيرة.. عن أيها تتكلم؟”

“هناك كتاب.. كتاب معين”

المكتبة مليئة بالكتب العينة وإلا فلماذا يسمونها

مكتبة؟

عندما كبرت وتزوجت حرصت على أن أحتفظ بفراشي القديم على سبيل الذكرى. اليوم بعد كل هذه الأعوام تذكرت هذه القصة، فرحت أعيث في الفجوة بين الألواح فلم أجد ذلك الكيس بما فيه. لا يوجد متهمون كثيرون.. إن ابني المراهق ينام على هذا الفراش كثيرًا.. لكن كيف أسأله؟.. هل وجدت شيئًا في الفراش؟.. شيئًا مثل ماذا؟.. ما الذي يمكن أن يجده أي إنسان في فراش قديم؟.. سوف يقولها ببراءة وسوف أصمت. وأكتم غيظي حتى أموت بالغالج.. هل هناك من حل آخر؟

والنصيحة الأخلاقية لهذه القصة هي: عندما تسرق فعليك أن تسرق شيئًا لا يجرؤ صاحبه على الإبلاغ عنه مهما حدث!

(الفهرس)

- 5 قطعة الشيكولاتة الأخيرة
- 10 هذا جتي
- 14 تثقني أرمنه اللاجدوى
- 19 ميمما ميمما
- 24 كلي يا صبيتي
- 29 ملاك صغير جدًا
- 34 الشفرة الغذائية
- 39 كلب عجوز وحيلة جديدة
- 44 نيولوجيزم
- 49 هيافه
- 55 هكذا قالوا
- 60 الصارفون
- 65 عن الهاموش وحمائم السباحة

- 149 رجل غير أناني
- 153 من الصنعة
- 157 صنعة الكلام
- 162 خدمة واحدة فقط
- 166 لأنك رجل متعلم
- 172 البنسات الثلاثة
- 178 طريقك إلى النجاح
- 182 أنا شديد الأهمية
- 185 الرايمر مصغر
- 188 إيهام
- 191 حياة ضاعت
- 194 أنبهر مرة واحدة
- 197 فن التسيف
- 200 من أجل مزيد من الجودة
- 203 متعمسون

- 70 ألغار طيبة
- 75 لبيب يعرف كل شيء
- 80 صينية الآلام
- 86 فيديو كليب يا باشا
- 91 حبة بارلام
- 96 وقائع إختفائي الغامض
- 102 عاصم
- 107 قط آخر
- 112 المشاربون
- 117 سفارة القطب الشمالي
- 122 هل تأملت نهرآ؟
- 127 عن شجاعة الجهل
- 133 رائية تعبني
- 138 العقرب الإلكتروني
- 143 فن إقراض الكتب

- 206..... أمام المدفع
- 209..... ليست نصفاً ولكن
- 212..... فلسفة اللبن
- 215..... حسن فطك
- 218..... المتذكريات
- 221..... مكالمه واحدة فقط
- 225..... تليباي
- 229..... ذات القانون
- 232..... اللذ
- 235..... فن التمارض
- 238..... لا أفيهم
- 242..... كتاب معين

د. أحمد خالد
توفيق

صدرت له عدة
طباعات عن دار للنيل
من الكتب التالية:

قوس قزح
قصة تكملها أنت
عقل بلا حسد
الغرفة 207
حظك اليوم
الآن أقفهم
إغازيع
فقايع
E.S.P

الآن تفتح الصندوق 1

الآن تفتح الصندوق 2

وسلسلة: www

سفر منها:

والجاذبة

يوم العيد الأخير

نحو غريب الأطوار

..... حلقه

بؤسه التلحين

www.Rewayat2.com

لقد مغالاة سافرة فصدرة لا
تبعي سوى جعلك تبتسم، بعد قفا
تنتج كالفافيع وتبلك أرنبة
انكك لشوانه لهذا نلهم جانرة
قيمة لأي شخص، يتدكر مغالاة
واحدة من شذا الكتاب بعد ثلاث
حفاق من قراءتها



د. أحمد فالح توفيق

فتاقيع

دار ليل

